

ما وراء الطبيعة

مشروع القرن الثقافى

روايات مصرية للجيب

فى كل رواية متعة دائمة

78 أسطورة حامل الضياء

(الجزء الأول)

د. أحمد خالد توفيق

78

روايات مصرية للجيب

•

ما وراء الطبيعة

أسطورة حامل الضياء

الجزء الأول



هل حصلت على نسختك من هذه الرواية ؟

إن لم تكن .. فبادر باقتنائها تكتسب متعة وتشويقًا لا حدّ لهما ..



ما وراء الطبيعة



77 أسطورة الفتاة الزرقاء

د. أحمد خالد توفيق

روايات مصرية للجيب

•

ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

•

مصنف مصرى مائة فى المائة
لا تشوبه شبه الترجمة أو الاقتباس
أو النقل عن أية قصص أوربية .

•

إشراف
الأستاذ / حمدى مصطفى

•

طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة ـ المطابع 8 ، 10 شارع المنطقة الصناعية بالعباسية ـ منافذ البيع 10 ، 16 شارع كامل صدقى الفجالة ـ 4 شارع الإسحاقى : بمنشية البكرى روكسى مصر الجديدة ـ القاهرة ت : 26823792 ـ 25908455 ـ 22586197 ، فاكس : 202/2596650 ج.م.ع ـ الإسكندرية 4 شارع بدوى / محرم بك ـ ت : 03/4970840 ـ 03/4970850

روايات مصرية للجيب

ما وراء الطبيعة

78

روايات تحبس الأنفاس من فرط الغموض والرعب والإثارة

•

أسطورة حامل الضياء

الجزء الأول

بقلم : د. أحمد خالد توفيق

الغلاف بريشة : أ. أيمن القاضى



المقدمة

تأخر صدور هذا الكتيب كثيرًا جدًا ، والسبب هو أحداث عاصفة وقعت فى مصر ، وأحداث عاصفة وقعت للمؤلف ، الذى يبدو أنه أخذ بعض طباعى ومنها حالتى الصحية ، وهكذا يبدو أننا نتسابق : من يموت قبل الآخر ؟ إنه أكثر شبابًا وأسرع منى على كل حال ..

الطريف هنا أن المؤلف وجد أن شبكة الإنترنت تعج بأسطورة حامل الضياء . هناك كتب كثيرة جدًا تحمل اسم (أسطورة حامل الضياء) ولم يكتبها المؤلف ، وهذا فتح جديد فى عالم التكنولوجيا . كانت قرصنة القصة تتم بعد نشرها بشهرين .. ثم صارت القرصنة تتم فى نفس يوم النشر .. الجديد هنا تلك القرصنة على قصتك قبل أن تكتب حرفًا فيها أو تعرف ما ستكتبه ! فكر المؤلف أن يقوم هو بالقرصنة على واحدة من تلك القصص التى تملأ النت ، لكنه لم يستطع تحميل أى منها للأسف ..

لو سارت الأمور على ما يرام فلسوف تقرأ هذا الكتيب لأول مرة فى صيف 2012 ... هناك من جاءوا متأخرين .. لهؤلاء أقول إنهم جاءوا متأخرين جدًا جدًا ، وإننى لأنصحهم بالبحث عن الكتيبات السابقة لأن هناك تراثًا ضخمًا من الذكريات والخبرات والآراء بنيناه معًا على مدار تسعة عشر عامًا ... عندما أتكلم عن د . لوسيفر أو عن ميدوسا أو تماثيل عزت الغريبة أو بروستاتا كولبى أو د. كاميليا ، فمن الصعب على من جاء متأخرًا أن يفهم حرفًا ..

رأيت اليوم رجلين وامرأة يتبادلون المزاح فى كافتيريا .. مزاحًا خاصًا بهم تمامًا ، لذا رحت أتأملهم فبدوا لى سمجين جدًا يضحكون لأشياء لا تدعو للضحك ، بينما بالتأكيد كانت أسبابهم وجيهة تمامًا . هكذا شأن من يأتى متأخرًا فتبدو الأمور له سخيفة غير مفهومة ..

اليوم نتكلم عن حامل الضياء ..

هذا اسم غير معتاد لدكتور لوسيفر .. لكنه من الأسماء المعترف بها له .

سوف أغلق نوافذ البيت والشرفة وأجلس فى الصالة .. سوف أعد لنفسى شيكولاتة ساخنة كالعادة .. سوف أجلب القط لينام عند قدمى .. إن القط النائم علامة لا شك فيها على أننى آمن ، ما لم أكن منحوسًا وأظفر بقط أصم أو قط أبله أو قط مصاب بمرض النوم أو نقص الغدة الدرقية ..

نتكلم عن حامل الضياء و ...

برغم كل هذه السنين أتوقع انتقام دستة من المسوخ والأشباح التى لم أتخلص منها بالكامل . هناك فى سقر ألف مسخ يتمنى أن يخرب بيتى ..

أنتظر الموت .. وأدعو الله أن يكون اسرع من خطوات هذا القادم على السلم .. هذا الذى يقصد عتبة دارى . هذا الذى يدق على الباب .. هذا الذى يقتحم شقتى .. هذا الذى يزحف إلى الصالة .. هذا الذى يقصد بقعة النور الوحيدة فى هذه الساعة .. هذا الذى ....

اللعنة !.. إننى أثير فزع نفسى ..

سأشرب الشيكولاتة ولنبدأ ..



ذلك الصوت غير المريح .. هذا الصوت لا ينتمى للبشر ولا ينتمى للحيوان .. لكن الحقيقة أنه يأتى من القط النائم عند قدمى .. إنه بارد كقطعة ثلج ..

ثمة احتمال لا بأس به أن أكون منحوسًا فعلاً .. لم أظفر بقط أصم أو قط أبله أو قط مصاب بمرض النوم ..

ظفرت بقط ممسوس ...

ـ « ريفعااااااااااااااااااات ! »

هذا هو الصوت القادم منه .. لا شك فى ذلك ..

القطط التى تناديك باسمك غير مريحة طبعًا .. والأسوأ منها ذلك الشيء الذى ترى ظله فى المطبخ . هذه حياتى على كل حال وعلىَّ أن أقبلها ..

ماذا كنا نحكيه ؟.. لم نحك بعد .. كنا نبدأ قصة حامل الضياء ..

تدور القصة حول شيء كهذا ....

لوسيفر : الملاك الذى طُرد من السماء لأنه حاول التمرد . الشيطان . كوكب فينوس عندما يظهر كنجم الصباح . ثقاب يشتعل بالاحتكاك . من اللاتينية : نجم النهار ــ حامل الضياء .

(قاموس التراث الأمريكي) (قواميس أكسفورد)



والآن ناولنى بعض أقراص المهدئ من فضلك ..

أنت تطالبنى بأن أشرب جرعة من البراندى ليجعل أعصابى تتماسك . أنت تعرف أننى لا أذوق الخمر ولن أذوقها .. هناك طريقة ممتازة للتوقف عن هذه الرجفة هى ألا أشرب قدح القهوة الثالث .. لكنى بحاجة له فعلاً ..

أنت تعرف أن معظم الأشياء اللذيذة حرام دينيًا أو ممنوعة قانونًا أو تسبب السمنة أو ترفع الضغط .. ليست القهوة استثناء كما ترى ..

أعرف أنه لابد من الشموع .. لكن ألا تريد أن تشعل مصباح الكيروسين هذا أو موقد البريموس ؟ أريد المزيد من الضوء بدلاً من لعبة الأشباح هذه ..

ولكن .. لا داعى .. إن الطقس حار بما يكفى ..

لنكتف بالشموع .. فقط ناولنى المهدئ كما قلت لك ..

ومعه القهوة طبعًا ...

* * *

ممتازة هذه القهوة ..

يومًا ما سوف أجلس مع رفاقى وأحكى لهم أنى شربت القهوة التى أعدها لى (ألستر كراولى) شخصيًا ... طبعًا لن يصدق أحد هذا . سيقولون إننى كنت ثملاً أو شيئًا أسوأ من هذا ..

على كل حال هو تصرف أخرق .. فهذا الرجل هو الذى علم تعاطى المورفين والمسكالين للأديبة كاترين هيبورن والأديب ألدوس هكسلى .. لقد تعاطى كل شىء يمكن تعاطيه تقريبًا .. ليس بالرجل الذى تشرب القهوة من يده مطمئنًا ...

بالإضافة لهذا لم يترك أى امرأة قابلها فى حياته فى حالها .. كان يعتبر كل امرأة يقابلها كاهنة جاءت من السماء لتساعد فى ترقيته لرتبة أعلى .. هناك الكثير مما لا يمكن أن أحكيه هنا على كل حال .. سواء كنت فتى أم فتاة .. حياة كراولى يجب أن تظل بعيدة عنا ..

الحقيقة أننى لم أعد أعرف الحقيقة من الوهم .. ولا الحق من الباطل .. كل شىء مختلط فى ذهنى .. هذا اللقاء معه يفوق قدراتى على التخيل وإننى لأشعر بأننى قطعة أثاث بلا حيلة ..

أتأمل هـذه المكتبـة العتيقـة .. المجلدات الضخمة المجلدة بغلاف مهترئ .. هنـاك كعب كتـاب واضح أرى عليـه عبارة (الهرميتات) .. هذا من الكتب المهمة جدًا لدى كراولى ، وقيل إنه يحتفظ به تحت وسادته .. إذن أنا فى المكان الصحيح . ثمة جمجمة .. نجمة خماسية ..

هـذه مكتبـة تناسـب ما تخيلتـه عـن ألستر كـراولى Aleister Crowley .. الذى أطلقت عليـه الصحافة البريطانية لقب (أشر إنسان على وجه الأرض) أو (الوحش) Beast .. عندما يتكلمون عن (الوحش) فى الأدب الغربى ولا يقولون من ؛ فهم يتحدثون عن كراولى .

الرجل نفسه ينظر لى فى هذا الضوء المتراقص ..

عينان حادتان قاتلتان تطعنان .. رأس أصلع .. وجه يذكرك بوجه موسولينى إلى حد ما ، فلا عجب أن الرجلين لم يطيقا بعضهما ، وقام موسولينى بنفى هذا المهاجر الأمريكى غريب الأطوار الذى هرب إلى إيطاليا ..

هـذا رجـل قضى معظم حياته فى المقـابر أو بين اللفافات القديمة البالية أو وسط نجوم خماسية أو صلبان مقلوبة .. رجل

قضى حياته مع الـسحر أو الـ Magick .. لا يوجد خطأ فى هجاء الكلمة ، فهو كان مصرًا على كتابتها بهذه الطريقة ليميزها عن السحر magic الذى يمارس على المسارح . رجل لا يرحم ولا يمزح .. وبالنسبة له أنا لست أثقل من بعوضة ..

حتى على المسـتوى الدنيـوى لا تنس أنه عميـل سرى للمخابرات البريطانية .. ساحر وجاسوس معًا .. وهذا الخليط ألهم سومرست موم بقصته الشهيرة (الساحر) ..

هذا يثير ذعرى ..

لكنه مهتم بأن يحكى لى كل شىء ..

إنه يقلب صفحات الكتاب الضخم بيد ذات أظفار طويلة سوداء ، ومن حين لآخر يرفع عينًا حادة ثاقبة نحو وجهى ... ثم يقول :

ـ « هذا هو كتاب القانون الذى كتبته أنا .. هل قرأته ؟ »

قلت باسمًا :

ـ « ليس بالضـبط . صعب جـدًّا بالنسبة لعقل بسيط مثل عقلى .. قانون ثلما Thelma كذلك محير فعلاً .. وأنا أعرف أن كتاب القانون هو الذى استولد مذهب الثليما .. »

بصوت دوى فى الحجرة فارتجت ، قال :

ـ « افعل ما تريد .. هذا هو القانون .. ! »

إنه يلخص لى هذا الكتاب العملاق بجملة واحدة .. لكن حتى لو استطاع ذلك فكيف يفسر لى باقى كتبه ؟.. إن الرجل غزير الإنتاج فعلاً .. ونشط كذلك ..

لا أعرف فى التاريخ الحديث رجلين خدما الشيطان مثل كراولى ولافى الأمريكى الذى شيد كنيسة الشيطان . لابد أنهما فى جهنم الآن بلا شك ، لكن هذه التجربة تجعلنى أتعامل مع كراولى كأنه ما زال حيًّا ...

ربما كنت أنا الميت ؟

بالفعل لا أعرف .. هناك خلط كبير ودوامة من الاحتمالات .

ظهر القط الأسود من مكان ما .

لا يمكن ألا يكون عند كراولى قط أسود عيناه فيروزتان مشعتان .. قط أسود له وهج فوسفورى استاتيكى غامض ، يبدو بوضوح عندما يظلم المكان ..

هذا القط يتمسح فى ساقى .. أمد يدى وأحك فراءه .. يتضاعف الوهج الاستاتيكى المخيف منع صوت القرير ... وررررررررررررر ... أحب القطط لكن ليس هذا .. ليس هذا .

نظرت لكراولى لأتكلم لكن فى اللحظة التالية كان القط على فخذى .. تلك الطريقة المسترخية التى توحى بأن السهرة لم تبدأ بعد . سوف يبقى هنا ويلعق مخالبه وينام ، وعلى المتضرر اللجوء للقضاء ..

قال كراولى :

ـ « قصتك مع لوسيفر طويلة وتمسنى أنا نفسى شخصيًّا ، لذا يمكن القول إننى الأقدر على سردها . وسوف أحكيها لك ، وسوف أضعك فيها .. لكننى أنذرك من النهاية .. لا أحد يجرؤ على أن يخبرك بالنهاية .. »

سأموت ؟.. وما المشكلة ؟.. كلنا سنموت .. المهم فقط ألا يتضمن هذا أن أحترق حيًّا وأنا مقيد ، أو أذبح ذبحًا ... بالتأكيد لن تروق لى هذه الطريقة للموت ، لكن عندى مفاجأة سارة لأى واحد يتمادى معى .. قلبى ضعيف جدًّا ، وسوف أموت باضطراب القلب قبل أن أتألم . كما كان سير هنتر الطبيب البريطانى العظيم

يقول : حياتى تحت رحمة أى أحمق يحاول استفزازى . وبالفعل مات بنوبة قلبية أثناء مناقشة علمية حامية ..

دع لوسـيفر يربطنى إلى عمـود خشـبى .. يسـكب علىّ الكيروسين .. ينحنى ليشعل عود ثقاب وهو يرتجف طربًا .. يستدير ليشعل الكيروسين نفسه ، وهنا سوف يكتشف أننى ميت بالفعل .. هاها !.. يا للمرح !.. سوف يجن غيظًا .. مقلب ممتاز فعلاً ..

قال كراولى وهو يمسك بأوراق التاروت :

ـ « هل تعرف هذه ؟ »

ـ « كثيرًا .. وكان أول تعامل لى معها من خلال د. لوسيفر.. »

ـ « كان يستعمل طريقتى فى القراءة . هناك عدة مدارس .. طريقتى هى الأدق والأنجح .. »

ثم راح يرص الأوراق بطريقة معينة على المنضدة .. وقال دون أن ينظر لى :

ـ « قصتك تعود لزمن بعيد .. بعيد .. »

....

الفصل الأول

فى حى اللبان

كان كراولى يتكلم عندما وجدت نفسى فجأة فى ذلك العصر ..

بشكل ما أدركت أننى أعيش هذه الحياة وأشارك فيها ، بل إننى جزء منها ..

هل كانت هذه حياتى يومًا ما ؟.. لا . أنا لا أؤمن بتناسخ الأرواح ، لكنى أعرف يقينًا أن هذه الذكرى موجودة فى جيناتى .. متوارثة فى اللا وعى الخاص بى .. إذن هى ذكرى مر بها أحد أجدادى . هذا جزء من تاريخ أجدادى لا أعرفه ..

يمكن القول بلا خطأ كبير إن الستر كراولى قد جعلنى أعود لأرى وأسمع وأعرف ما رآه وسمعه وعرفه جدى ..

لكنى برغم هذا لا أعرف أى شىء على الإطلاق . لم أر هذا الفيلم من قبل ..

* * *

أنا هناك فى الإسكندرية .. اسمى (سيد إسماعيل) ..

هـذا زمـن مهم جدًا فى حيـاة مصر .. صاخب بالأحداث والتغيرات السياسية .. العـام 1920 .. أى أننا فى جـو يعبق

بسيد درويش وسعد زغلول .. لكن الزواحف التى نتحدث عنها اليوم كانت بعيدة عن أى ضوء وكانت تمارس حياتها القذرة تحت الأرض ..

أرى نفسى أمشى فى حى اللبان بين المنشية وميناء البصل، وأعرف ملامحى بشىء من الصعوبة .. بدأت الأمور تتضح وعرفت أننى قادم من الشرقية التى استقر فيها جد جدى .. أقيم هنا فى الإسكندرية ولى ابنان ..

واحد من هذين ـ عبد الحفيظ ـ سوف يعود للشرقية ويعود للفلاحة ، وينجب رفعت إسماعيل ..

كنت أعمـل فى كراكـون اللبـان .. قسـم الشرطة الذى لم يعد فى مكانه منـذ زمـن . وهنـاك ذلـك البيت العتيـق الذى كان بيت ريـا وسكينة فى ذلـك الوقـت .. فى زمننـا هـذا يوجد منزل قام على أطـلال البيت هـو رقم 5 شـارع محمد يوسف فخر .

كنت رجل شرطة ريفيًا لا أملك الكثير من المواهب لكنى بالتأكيد شريف ..

فى ذلك اليوم كنت أقف مع رفاقى أمام الكراكون وقد أشعلت سيجارة لففتها لنفسى ، عندما رأينا تلك الحُرمة قادمة من بعيد وهى تلطم الخدين وتهيل التراب على رأسها ..

ـ « نظلة !... هاتوا ابنتى ! »

وراحت تلطم الخدين حتى ليحسب من كان بعيدًا أنها تصفق ، فقمنا بتهدئتها ..

اقتدتها لمكتب الحكمدار ، وهو كأى حكمدار تتصوره أنت .. طربوش .. عظيم جدًا .. له شارب مفتول يقف عليه صقران .. ويتكلم مثل باشوات الأفلام القديمة ..

كان هو الذى يتعامل مع المصريين ، فلن يفهمهم الكونستابل الإنجليزى جون فيليبس على كل حال ..

عرفنا فيما بعد القصة ..

ابنتها نظلة كانت تنشر الغسيل فى البيت ، ثم جاءتها زيارة من سيدة فغادرت الدار معها .. بعد هذا اختفى كل أثر لها .. لاحظ أن الفتاة كانت تلبس الكثير من الذهب كعادة الطبقات الشعبية فى التفاخر ... وبالطبع لم تكن هذه هى القصة الأولى ..

الحق أن الإسكندرية كلها بدأت ترتجف هلعًا لدى سماع هذه الجرائم ، وبدأت أرقام الضحايا تتزايد .. كلما مرت بضعة أيام سمعنا عن فتاة أو امرأة اختفت ..

قال الحكمدار فى حيرة :

ـ « أين الجثث ؟.. كل الجثث تظهر كالعادة فى لحظة ما .. لكن من يرتكبون هذه الجرائم يبدون كأنهم يذوبون النساء .. »

كان الناس يتهامسون ...

وكتب بيرم التونسى عن الظاهرة يطلب من الأهل ألا يسمحوا بخروج بناتهم :

« وانت يا أبو البنت حوش .. بنتك فى بيتك يا بقر »

كانت الأمور تدلهم وبدا أننا فاشلون جدًا ..

كان جدى خارجًا من تجربة جاك السفاح فى إنجلترا وأذكر تفاصيلها تمامًا ، لكن لم أتصور طبعًا أن سير ويليام جال جاء للقاهرة ليمارس عمله .. وبالتأكيد لا أعتبر أن هناك طقوسًا ماسونية ..

وجاء اليوم الذى استدعانى فيه الحكمدار وقال :

ــ « سيد .. هنــاك اسـمان يترددان فى التحقيقات . معظم الضحايا كن على علاقة بامرأتين تدعيان ريا وسكينة .. »

قلت وأنا أشد قامتى فى احترام :

ــ « ما عملهما يا سعادة الحكمدار ؟ »

قال فى بساطة وشىء من السخرية :

ــ « إنهما أختان .. وهما تملكان كرخانة فى حى اللبان .. »

الكرخانة هى الاسم القديم لبيـوت المتعـة الحرام . وواصل الحكمدار الكلام :

ــ « سـوف تتنكر فى صـورة زبون .. وترتاد تلك الأماكن وتحاول معرفة ماذا يدور بصدد هاتين الأختين .. لا أعتقد أن توجد أختان سفاحتان لكن الأمر وارد .. »

أديت التحية وأنا أفكر .. سيكون الأمر صعبًا ..

* * *

كانت المنطقة شعبية جدًا ، وكان من السهل أن أندمج فى هذا الوسط .. لا . لم أدخل الكرخانات والحمدلله ولم أشرب الخمر . دعك من أن الأمراض السرية كالهواء هنا ..

فقــط كنت أرتــاد الحانات وأتظــاهر بأننى أشرب الخمر ، والحقيقة أننى كنت أشرب من زجاجة أعددتها لنفسى مليئة بالشاى .. واستطعت من هذا الموضع أن أعرف الكثير ..

أحيانًا كان بعض الجنود الأستراليين يترددون على هذا المكان لأنه رخيص يناسب قروشهم المعدودة ، لكنى لم أفهم سبب ظهور ذلك الرجل الأجنبى فارع القامة الذى يلبس السواد .. والذى يتكلم بعربية سيئة جدًا .. كل شىء فيه كان أسود .. عندما تنظر إليه لفترة تشعر بأن اللون الأسود يطغى على كل شىء ..

كان موجودًا دومًا .. هذا مكان لا يناسبه على ما أعتقد ..

اسمه (لوسيفر) .. يقول إنه من أصل مجرى وإنه يحب مذاق الفتاة المصرية الشعبية .

عرفت أن لهذا الرجل علاقة بالقصة عندما لاحظت أن صداقة معينة تنعقد بينه ورجلين .. عبد العال وحسب الله ..

كان يقنع الرجلين بأشياء ويدفع لهما مالاً ، لكننى لم أفهم ما يدور بينهم ..

كان حسب الله هو زوج ريا ، أما عبد العال فكان زوج سكينة ..

بالنسبة للمرأتين ، فأنا أرى أنهما كانتا أقرب إلى الحيوانات فعلاً ... إنهما قذرتان تمامًا ، غارقتان فى الخمر والرذيلة .. تصور أنهما كانتا تأكلان الطيور الميتة وتشربان الخمر كأنه عصير القصب ..

لكن لم تكن لدىَّ دلائل واضحة على أنهما تقتلان أو أنهما مسئولتان عن جرائم الاختفاء .. إن القذارة ليست جريمة يعاقب عليها القانون على كل حال ..

كنت جالسًا فى المقهى فى ذلك اليوم أراقب الشارع الذى هو خليط من العيال الحفاة والكلاب الضالة والطين والوحل والفقر والغبار والقذارة ..

شعرت بمن يجلس بجوارى ..

رفعت عينى فإذا هو ذلك الأجنبى الغريب .. كان يرمقنى فى ثبات ..

قلت له فى ارتباك :

ـ « سعيدة يا أفندى .. »

كان يمسك بقنينة خمر صغيرة فى يده فرشف منها ثم ناولها لى .. اعتذرت وقلت إننى لا أشرب الخمر مبكرًا .. قال وهو ينظر لى بذات الثبات :

ـ « لم أرك تشرب الخمر قط ... أنت تبدو كذلك .. »

ـ « ربما .. »

ـ « ولم تطلب أى واحدة من نساء ريا وسكينة فى خلوة ؟ »

شعرت بالغيظ فقلت :

ـ « أنا حر .. »

بصرف النظر عن الحلال والحرام ، فقد كان كل شىء قذرًا لدرجة لا تطاق .. رائحة هؤلاء النساء تجعلك تعتزل الكون كله وتصير ناسكًا ..

قـــال :

ـ « حر أنت فعلاً .. لكن ألا يذكرك وجهى بشىء ما ؟.. حاول .. »

نظرت له طويلاً .. ثمة رؤيا غريبة كأنها من جهنم التمعت فى خيالى للحظة ثم توارت .. كأنه لحن أغنية أوشكت على تذكره ثم أفلت منك .. لا .. لا أذكر أننى قابلتك يا سيدى ، خاصة أنك أجنبى .. ليست لدىّ جذور غريبة ..

قال فى إصرار :

ـ « رقصة سالومى .. المعظم ثلاث مرات .. هه ؟ »

ـ « لا أفهم حرفًا مما تقول .. »

الحقيقة أننى بدأت أشك فى هذا الرجل .. لو كان على علاقة قوية بعبد العال وحسب الله ، وكان هناك شك حول ريا وسكينة .. إذن فعلىّ أن أشك فيه ..

النقطة الثانية هى أنه مريب فعلاً .. لو مر أمام رجل شرطة فى أى بلد من بلاد الأرض لارتاب فيه وسأله عن اسمه ، وبعد هذا سوف يقضى رجل الشرطة أسبوعين فى رعب مقيم بسبب كميـة الشر التى تنبعـث من كـلام هـذا الرجل .. تنبعث من عينيه .... من وجوده ..

* * *

تطورت الأحداث بسرعة ..

هناك رجل وجد جثة آدمية مدفونة فى بيته .. والبيت كان يستأجره رجل يدعى السمنى . هذا البيت كان منزل خديجة أم حسب الله بشارع على بك الكبير الشحات . وهذا البيت كانت تقيم فيه ريا ..

عرفنا أن لريا عدة بيوت فى شارع سيدى إسكندر ورقم 5 ش ماكوريس و38 ش على بك الكبير و8 حارة النجاة و6 حارة النجاة .

بعد ما راقبت المنطقة عدة أيام عرفت الجدول الزمنى لهاتين الأختين ...

تأكدت أنها ليست موجودة لا هى ولا أختها سكينة فى المنطقة ، من ثم تسللت إلى البيت الموجود فى شارع ماكوريس .. معى عامل يحمل فأسًا ..

كان الوقت عصرًا وقد بدأت الإضاءة تضعف عندما توجهت إلى الصندرة ...

بسهولة ميزت أقوى رائحة بخور يمكن شمها .. لكنها رائحة البخور عندما تفشل فى القضاء على العفونة ... رائحة شيطانية لا توصف ...

قال لى العامل :

ـ « هناك شىء ميت فى هذه الغرفة .. »

قلت له فى ضيق :

ـ « احفر ولا تضيع الوقت .. عندما اطلب رأيك سأسألك .. »

كان هناك مصباح كيروسين أضأته فألقى ضوءًا كئيبًا خافتًا على المكان .. ليس من الحكمة أن آتى هنا وحدى .. هؤلاء القوم يقدرون على هزيمتى وحدى لو جاءوا ورأوا ما أقوم به ، لكنى على كل حال صرت أحفظ مواعيدهم وأعرف أنهم فى كرخانة بحارة النجاة .. لن يعودوا قبل العاشرة مساء ..

انهالت ضربات العامل على الأرض ..

رحت أراقب المشهد وأنا أدرك أن الرائحة خبيثة فعلاً ... لفظة رائحة شيطانية خلقت لهذه الرائحة ، ولو كانت هذه مجرد قذارة فأنا مجنون ...

إنها تتزايد ..

وفجأة توقف العامل ورأيته يستند للجدار ويفرغ معدته . الرائحة كانت قوية لدرجة أنه لا يستطيع فتح عينيه .. قلت له أن يسد أنفه بالمنديل وكذا فعلت أنا ..

ثم ألقيت نظرة على ما رآه ..

هنا أدركت السبب ...

هـذه كتلة مـن اللحم والدم والشعر الأنثوى تحت الملاط ... كتلة مختلطة من النساء اللاتى جاءت بهن الشقيقتان هنا .. قامتا بخنقهن ثم تعاون الرجال على حفر الأرض ودفن الجثث ثم تغطيتها بالملاط .. ثم بيع ما يحملن من ذهب ..

تخيل خيال وأعصاب القاتل الذى يدفن ضحاياه تحت أرض بيته .. هذه طباع ضباع وليست طباع بشر ..

فيما بعـد ستكشف التحقيقات أنهـن كن يبعن الذهب بمبالغ بخسة فعلاً ، وبعـد تقسيم المبلغ عليهن لا يبقى إلا ما يسمح بشراء بعض كئوس الخمر ووجبة عشاء .. حياة كاملة تضيع من أجل هذا الثمن ...

هنا سمعت صرخة ..

نظرت خلفى فوجدت أن العامل غير موجود .. أين ذهب ؟.. كان يستند إلى الجدار ويفرغ معدته فماذا دهاه وأين ذهب ؟

أمر مريب ..

على الأرجح هو فر من الصندرة .. لا ألومه على هذا فالمكان مخيف ..

الآن صارت التهمة ثابتة وعلىَّ أن أهرع لأخبر الحكمدار بما وجدت ..

انحنيت لأتفحص الحفرة الشنيعة التى كشف عنها الحفر ..

وفجأة ظهرت تلك اليد من تحت الأرض .. من وسط الأشلاء التى كشف عنها الحفر ... وانقضت على ساعدى .. سقطت أرضًا ...

وجدت ذلك الغريب الأجنبى يخرج من الحفرة ليرتمى فوقى وهو يضحك ضحكة شيطانية :

ـ « الشك هو ما رأيت فى عينيك أيها الفانى .. والشك هو ما جلبك هنا .. »

صحت محاولاً النهوض :

ـ « ابتعد عنى .. أيها القاتل ! »

قال كأنه ينصح طفلاً :

ـ « لست قاتلاً أبدًا لكنى محرض .. إننى أبحث فى كل مكان عن إمكانيات الشر وأزينها للبشر .. »

ـ « ابتعد أيها الشيطان .. »

قال بنفس اللهجة :

ـ « ليتنى كنت كما تدعونى .. لكن لوسيفر تابع لم يترق .. والتابع عوقب لأنه فقد أثرًا مهمًا .. وأنت تعرف موضع الأثر وسوف تعيده لى .. »

ـ « أنت مجنون .. »

ـ « وأنت ستتعذب طويلاً ... صدقنى .. دفنًا سأدفنك تحت هذا الملاط مع من مُتن وتحللن . لكنك سوف تشتهى الموت ولن تذوقه .. صراخًا سوف تصرخ .. توسلاً سوف تتوسل .. لكنك فى ذات ليلة مدلهمة سوف تنادى لوسيفر وتخبره بكل شىء .. كل شىء .. »

كنت قد استطعت بلوغ سلاحى الميرى ... واستطعت أن أقبض على الزناد .. رفعته فى بطء نحو الوحش الذى يجثم فوقى ..

لكنه كان يملك حاسة الضباع ..

لقد شعر بالسلاح فثنى معصمى ببراعة ، وضحك ضحكة شيطانية :

ـ « دمية أطفال لا تخيفنى أى بنى .. لكن أنصحك بأن تتخلى عنها .. »

لكنى كنت مصرًا .. ضغطت على الزناد بصعوبة .. أنت تعرف صعوبة هذا عندما يثنى أحدهم معصمك .. أثنى يدى بقوة أمام ضغط يده .. الفوهة تتحرك .. ترتفع .. لا أعرف يقينًا أين هى بالضبط ..

ثم .... بوم !!

ولم يكن هو الذى سقط من فوقى ..

أنا تهاويت من تحته ..

الفصل الثانى

جوبيلا جوبيلو جوبيليم

ظلام ....

* * *

قال كراولى فى الظلام :

ـ « أريد أن يسود الشيطان ، وأن تعوى أشباح الرغبة فى الأزقـة المظلمـة ، لكنى كذلك لا أرغـب أن يظفـر بك حامل الضياء .. لا أرغب فى أن يظفر بالكتاب .. »

نظرت له وشعرت بالغرفة تترجرج كأنها صفحة ماء مد أحدهم يده فيها ..

وتذكرت كيف بدأ هذا كله ..

* * *

كنت هناك أمشى فى ضباب لندن الأخضر قليلاً ..

إنه العام 1888 ..

أنا من أصول شرقية بالتأكيد .. يبدو أن أبى كان من بلد عربى ما .. ويبدو أنه جاء إلى أوروبا حيث عرف (لندره) وانبهر بحسانها .. ومن الواضح أنه تزوج واحدة منهن ، ثم بعد فترة عاد لقريته فى ذلك البلد العربى .. كان له أكثر من ابن فى أكثر من بلد .. أنا واحد منهم ..

اسمى (كامل) .. ملامحى كما قلت لك شرقية جدًا ، وكثيرون يعتقدون أننى هندى . الحقيقة أنه من الصعب أن تقابل هنديًا له هذا الشعر الخشن ...

أعمل فى متجر لبيع التبغ فى وست إند .. مهذب مجامل لهذا يحبنى البريطانيون جدًا ..

هناك مشكلة صغيرة تواجهنى هذه الأيام ، هى أننى كنت عائدًا فى ساعة مظلمة إلى دارى عندما تعثرت فى زقاق مظلم فى منطقة (وايتشابل) ..

هناك حانة قريبة جدًا اسمها حانة (الأجراس الأربعة) ..

أنت تعرف هذا الجو التعس حيث الضباب والبلدة كلها تضاء بمصابيح الغاز .. هناك بقاع عديدة من الظلام لا ترى فيها يدك نفسها ..

عندما سقطت على الأرض عرفت أننى سقطت فوق متسكع .. هذا جسد بشرى .. لكن عندما نهضت عرفت أن ما يبلل يدى ليس القيئ ولا البول .. إنه دم ..!..

عندما استطعت أن أرى أفضل ، أدركت أن ما أنا أمامه هو جثة .. جثة امرأة ممزقة بشراسة ومن الواضح من ثيابها أنها فقيرة وأنها بائعة هوى ..

على الجدار خلفها كانت كلمات بالدم ..

الكلام يقول : « فقط اليهود لا يلامون على لا شيء .. »

فيما بعد سوف تثير الصيغة الغريبة الركيكة التى كتبت بها العبارة دهشة الشرطة .. إما أن يكون كاتبها حمارًا وإما أنه شخص يتهم اليهود ، لكن لغته لا تساعده .. على كل حال هذا استفزاز للمشاعر بلا شك .. وهو ما سيدعو رجال الشرطة إلى إخفاء هذه السطور ..

لماذا كتب لفظة اليهود بهذه الطريقة Juwes ؟

أصابنى هلع لا يوصف .. من حسن الحظ أن قلب جدى كان أفضل من قلبى . لهذا استطعت أن أقاوم وأن أزحف مترنحًا إلى حيث الشارع مضاء أكثر ..

كان هناك رجل شرطة فصحت بصوت مختنق :

ـ « قتل !.. قتل ! »

بالطبع كان منظرى مريبًا جدًّا ويداى غارقتان بالدم .. وقد راح الشرطى ينظر لى فى شك ..

ثم إنه قام بالعمل المعتاد فى هذه الظروف . رفع الصفارة إلى شفتيه وأطلق استغاثة ..

وسرعان ما وجدت نفسى وسط رجال الشرطة ..

بالطبع قضيت ليلة سوداء ... وسمعت عشرات الأسئلة وحكيت قصتى مئات المرات ..

ما ساعدنى هو أن هذه ليست الضحية الأولى ... لقد شهدت نفس المنطقة حوادث قتل أخرى ..

* * *

كانت لندن كلها تتكلم عن جاك السفاح ..

هناك فى الضباب الأخضر والأزقة المظلمة يجول هذا الرجل الغامض بحثًا عن ضحية .. ضحاياه حتى اليوم بلغ عددهن خمس نساء (فيما بعد سيبلغ الرقم إحدى عشرة) ..

وهناك ليلة سوداء قتلت فيها فتاتان .....

ذات ليلة جاء المفتش (مكدافيد) إلى متجر التبغ ليبتاع بعضه .. استند إلى الكاونتر وقال لى وهو لا يكف عن اعتصار شاربه :

ــ « اللغز مستمر .. هذا الوغد يخنق الفتيات قبل القتل . لهذا لا تجد قطرة دم واحدة .. ثم يمزق جثثهن بدقة تشريحية ممتازة .. أؤكد لك أنه دقيق جدًا .. »

قلت له وأنا ألف التبغ :

ــ « هذا يعنى أنه جزار .. القاتل جزار .. »

ــ « ثمة احتمال لا بأس به أن يكون جراحًا .. »

كدت أسأله عن البصمات ثم تذكرت أنها لم تخترع بعد .. هذا اختراع كان على شرطة لندن أن تمارس عملها من غيره ..

عاد يقول كأنه يكلم نفسه :

ــ « لماذا اختار السفاح خمس فتيات يعرفن بعضهن ويرتدن ذات الحانة ؟ لماذا حملت فتاتان من الضحايا اسم (مارى كيلى) ؟ »

كان يتكلم عندما رأيت ذلك الرجل فارع القامة يدخل القاعة ..

كان يلبس عباءة سوداء مع حرملة سوداء وقبعة سوداء وقفازين بنفس اللون ، وكان له وجه صارم وسيم وعينان قويتان .. ثمة شيء فى مظهره يوحى بأنه من شرق أوروبا ..

نظرت له فى فضول فقال بصوت أكثر سوادًا من صوته :

ــ « أبغى تبغًا من وارد المستعمرات .. »

اتجهت للرف وأنا لا أبعد عينى عنه وكذلك فعل المفتش .. ثم إن المفتش نفث دخان الغليون وتساءل :

ــ « السيد ليس بريطانيًا إن كان لى أن أسأل .. »

قال الرجل الغامض :

ــ « اسمى (فرانتز لوسـفر) .. مـن المجـر .. إلى بلدكم الجميل جئت ، وفى قلبى ألف سؤال .. »

لوسفر ؟.. اسم غريب يذكرنى بلفظة لوسيفر .. لكن ما أغرب أسماء هؤلاء القوم على كل حال ..

عاد المفتش يتكلم بينما الغريب يصغى باهتمام :

ـ « إن لفظة Juwes التى كتبها القاتل قد تشير إلى شعار الماسونية : (جوبيلا جوبيلو جوبيليم) .. هذا قسم يؤديه العضو يؤكد فيه أنه لم يقتل السيد حيرام أبيف .. شىء من هذا القبيل .. طريقة القتل نفسها ماسونية طقسية جدًا .. الذبح وإخراج الأحشاء ووضعها على الكتف اليسرى وتشويه الوجه .. كل هذا يشير بأصابع الاتهام إلى .... »

ثم فطن إلى أنه تكلم أكثر مما يجب ..

فطنت أنا كذلك إلى أن المفتش المخضرم ثمل ... لقد انزلق لسانه لأنه ثمل وما من شىء يطلق اللسان من عقاله مثل الخمر ..

استعاد توازنه فطلب التبغ الذى اشتراه ثم غادر المكان دون أن يحيينا ...

ظللت واقفًا مع الغريب ..

لاحظت أنه ينظر لى فى ثبات ...

ابتسامة غامضة شاعت على شفتيه وقال بصوت كأنه نمر يزأر :

ـ « التقينا من قبل .. هل تذكر ؟ »

ابتسمت فى مودة بمعنى أن هذا لم يحدث قط ...

دفع ثمن التبغ وهو لا يرفع عينيه عن وجهى ثم غادر المكان ..

لست من النوع العصبى لكن يدى راحت ترتجف بقوة بعد هذا اللقاء .. ثمة شىء شيطانى غير مريح فى هذا الرجل فعلاً ....

أنت تعرف معنى هـذا اللقاء الآن ، لكن بالنسبة لتاجر التبغ كامل كانت تجربة مرجفة فعلاً ...

* * *

جوبيلا جوبيلو جوبيليم

* * *

فى تلك الليلة كنت عائدًا قرب الحانة فى ضباب لندن ، وكنت قد ابتعت زجاجة من عصير التفاح ورغيفًا ...

كنت مطمئنًا بالطبع فأنا لست امرأة .. هذه من اللحظات التى تعرف فيها نفع أن تكون رجلاً .. يمكننى أن أعبر هذا الزقاق المظلم وأن أمر تحت هذا المصباح المطفأ .. وأن أركل علبة القمامة هذه وأن أتعثر فى هذا السكير وأن ....

وأن أرى هذه العربة ذات الحصان تسد الشارع ..

كان الحصان أسود والعربة سوداء .. وساعد الضباب المتصاعد من الأرض على أن تبدو كأنها جاءت من الجحيم نفسه .. كأن الخيول تنفث النار ...

على بعد أمتار رأيت مشهدًا شنيعًا ..

رأيت رجلاً متأنقًا ذا قبعة عالية وعباءة ، يركع على ركبتيه .. جواره حقيبة سوداء مفتوحة وهو عاكف على تشريح جثة .. جثة امرأة ممزقة ترمق الظلام بلا حركة ..

هذا هو جاك السفاح نفسه ....

هل أصرخ ؟؟ هل أبتعد ؟

ثمة احتمال لا بأس به أن يكون حاملاً لسلاح نارى .. أفضل الحلول أن أتجمد حيث أنا ...

وفى الضوء الشاحب القادم من مصباح بعيد رأيت وجهه .. يبدو مألوفًا .. هذا وجه أراه فى الصحف كثيرًا .. لكن من ؟

هنا خطرت لى فكرة ممتازة ....

دنوت بخفة من وراء الرجل ورفعت الزجاجة .. لا يوجد وقت للتردد .. إنه عاكف على تمزيق شىء فى أحشاء المرأة ولا يشعر بى ... سأخلص لندن من جاك السفاح ...

هويت بالزجاجة بأعنف ما استطعت على مؤخرة رأسه لكنها لم تتحطم ...

بالأحرى لم تصل هناك قط ..

شعرت بيد كأنها منجل حديدى تطبق على ساعدى ... شخص ما جاء من خلفى ..

رفعت عينى فوجدت أننى أحدق فى وجه ذلك الغريب الأسود الذى زارنى فى محل التبغ .... (فرانتز لوسفر) .. هذه المرة بدا لى كأنه الشيطان ذاته ..

أجفل الرجل العاكف على تمزيق الضحية لكن الغريب أسكته بإشارة من يده .. ومد يده يلتقط شيئًا من أدواته .. وقبل أن أفهم ما يحدث شعرت بهذا الشىء ينغرس فى مؤخرة عنقى ...

المشهد التالى هو أننى كنت ممددًا بلا حراك على أرض الشارع .. أحاول رفع يدى فلا أقدر .. أحاول تحريك ساقى فلا أقدر . أحاول الكلام فلا أقدر ..

قال لوسفر وهو يركل جسدى بطرف حذائه البراق :

ـ « نعـم .. أنـت تذكـرت الوجـه أيها الفانى .. السير (ويليام جال) طبيب الملكة شخصيًا هو جاك السفاح .. ماسونى هو يمارس قتلاً طقسيًا وأنا أهديه وأختار ضحاياه ... أما حالة الشـلل التى أصابتك فلأننى غرسـت إبـرة جراحية فى موضع حساس من مؤخرة عنقك .. لقد أصبتك بشلل رباعى لكنك قادر على التنفس ... »

ثم أشعل سيجارًا أضاء وجهه الوسيم القاسى وقال :

ـ « إربًا سوف يقوم السير جال بتمزيقك ... لهذا آمل أن تدلنى على الكتاب .. الكتاب الذى تعرف خلاياك سره وتجهل أنت .. »

قلت شيئًا لم يسمعه لكنه استنتجه فقال :

ـ « ثمة فن توارثته الأجيال هو النكرومانسى .. سوف أستنطق أحشاءك ولسوف تعترف لى بكل شىء ... الفنانون حمقى .. يحسبون أنهم لا يعرفون إلا الأسرار التى يعرفونها ! »

ثم نظر إلى الطبيب المذعور آمرًا :

ـ « تمزيقًا تمزقه أيها النطاسى البارع ، وليكن ذلك ببطء السلحفاة ... »

لكن الطبيب لم يصغ .. لقد دوى صوت صفارة يهز هواء المنطقة . رجل شرطة قد رأى المشهد .. ولم أشعر إلا بالطبيب يهرع مبتعدًا وسمعت صهيل الجواد وعجلات العربة ، بينما لوسفر يأمره فى غضب :

ـ « عد يا من طار صوابك شعاعًا ! »

سمعت الصهيل وسمعت الحوافر .. وسمعت صوت السوط يهوى على ظهر الجواد بلا رحمة ..

ـ « توقف يا أحمق ! »

لكن الجواد اندفع فى جنون ... رفعت رأسى فوجدت أن العربة كلها تندفع نحوى بسرعة البرق وقد فقد قائدها السيطرة على حصانها ..

عرفت هذا وعرفت أننى عاجز عن الفرار ...

وفى اللحظة التالية هوت سنابك الجواد على .. وأعتقد أنها مزقت لوسفر كذلك ...

* * *

جوبيلا جوبيلو جوبيليم

كانت فترة من الهـدوء لا بأس بهـا ، تلـك التى مرت بى بلا أشباح ولا مسوخ ..

لكنى كنت أدرك الحقيقة .. النهاية صارت قريبة جدًا جدًا .. أنت تعرف أن هذا لا يضايقنى ولا يخيفنى كثيرًا ، لكنى كنت أخشى الانتقال إلى مكان جديد طيلة حياتى .. وقد بدا لى هذا النوع من الانتقال أكثر مما تتحمله أعصابى ..

كنت أمارس حياتى بالشكل المعتاد ، ما بين القراءة والجلوس فى الشرفة ومشاهدة التلفزيون واستعادة الذكريات .. أم (شخص ما) تأتى لتنظف الشقة ، وتحكى لى عن قريتى .. إنها من هناك كما تعلم .. أحيانًا يأتى أحد أقاربى ليرانى . أحيانًا يزورنى عزت أو أتلقى مكالمة من ماجى .

المحصلة العامة هى إننى أضعف وحركتى أقل ..

هذا شىء مؤسف .. لقد جاء رفعت إسماعيل وعاش وملأ الدنيا صخبًا وهو الآن يتهيأ للرحيل . الكل فعل هذا من قبلى حتى من هو أعظم منى بملايين السنوات الضوئية ، لكن برغم كل شىء هذه حياتى أنا وهذا جسدى أنا . عندما كنا نتلقى اللقاح

فى المدرسة الابتدائية كنا نبكى بلا توقف .. جعلتنا المعلمة نرى كيف أن زملاءنا لم يبكوا ولم يتألموا .. لقد تلقوا الإبرة بشجاعة فى مؤخراتهم . لم يرق لى هـذا المنطق وقلت لهـا إن هـذه مؤخرتى أنا .. الإبرة ستخترق مؤخرتى أنا وهذا ما يهم . بالطبع تلقيت علقة لا بأس بها لكنى ما زلت أجد منطقى معقولاً ..

بدأت الخطابات من الكينونة تتزايد مؤخرًا وأثار هذا قلقى .. تلـك الخطابات التى أجدهـا تحـت الوسـادة ليلاً . لا أعرف لماذا تتصل بى . كلامها غير واضح . ... أعتقد أنها تنذرنى من شىء ما .

ثم بدأت الأحلام تتوتر ..

لم أعد أرى حلمًا واحدًا منتظمًا ..

الأحلام عبارة عن قصص رعب . كنت أرى وجه د . لوسيفر مرارًا يدخل ويخرج من دوامة عميقة .. كما رأيته أول مرة فى ذلك الحفـل فى نيويورك عنـدما كان يقرأ أوراق التاروت .. تذكرت وجهـه فى هالماجيـو .. تذكرت وجهه عنـدما كان ابنـه خيرياسوس يكتب قصـص الرعـب ... تذكرته فى جانب النجـوم ...

كان هناك فى الكابوس دومًا ... وكان يكرر :

ـ « أيها الفانى !... أيها الفانى ! »

كأنه يغيظنى .. يعرف أن رحيلى اقترب وأنه باق .. لكن من قال إن هذا يضايقنى ؟ . بالعكس أنا مشفق عليه نوعًا .. من لا يستطيع الموت كائن تعس .. ولو كان هو الشيطان فعلاً فهو ملعون للأبد ..

لكنى كنت أتساءل عن السبب .. لماذا يظهر هذه الأيام ؟

تكرر الأمر مرارًا ..

وفى كل ليـلة أصـحو فى فراشى فأراقب الصالة العائمة فى ضوء خافت منهك .. لقد عشت حياة حافلة لكنى خلفت ورائى طريقًا مزدحمًا بالخصوم ومن يتمنون القضاء علىّ ..

لكن لوسيفر قد أتيحت له فرصة القضاء على مرارًا . فى كل مرة كان يقربنى من فمه وأشم رائحة أنفاسه ثم يبعدنى ويضحك فى شراسة . أعتقد بالفعل أنه يشعر أن موتى سيفقده أى تسلية فى الحياة . مثلما يقبض القط توم على الفأر جيرى ويوشك على

التهامه ، ثم يطلق سراحــه فى آخـر لحظة لأن الحياة ستكون مملة فعلاً لو التهمه ..

لكن لماذا أنا بالذات ؟

لماذا يجد كل هذه التسلية معى ؟

أعترف أننى مسل .. مسل كفأر أبيض صغير أو حفنة من الفول السودانى الساخن ، لكن هذا لا يبرر أن يختارنى أنا بالذات ضمن الكائنات الأرضية .. يختارنى أنا بالذات ليلهو معى ..

* * *

فى تلك الليلة اتصل بى صوت أعرفه ..

أنت تعرف أصوات النصابين اليهود المصابين بالبروستاتا .. خاصة من يقيمون فى نيويورك منهم .. وبالذات من نشئوا فى برونكس . سام كولبى الوغد هنا ..

كنت أحب هذا الرجل .. قلت لك مليون مرة إننى لا أمقت اليهود ولا أطيق الصهاينة . سام أقرب لطفل أبله ساذج بملامحه الدقيقة الطفولية المنبهرة دومًا .. مدمر ويسبب المشاكل حيثما ذهب ، لكنه يعرف شيئًا أو شيئين عن السحر .. لا أنكر هذا ..

سام كولبى كان فى القاهرة .. زيارة مفاجئة كما ترى . كان قد جاء لحضور سبت السحرة العظيم great Sabbath .. إنها مناسبة عالمية يعرفها السحرة ويحضرونها . يتعلق الأمر بديانة تحوت القديمة المدعوة الهرميتات ، وعلى كل حال هم يجتمعون فى المنيا .. هنـاك معـابد لتحـوت ، وهناك أكثر من تمثال لقـرود البابون أو طـائر البلشـون .. وهنـاك القرية الشهيرة (تونة الجبل) التى حكيت لك عنها من قبل ..

حسن .. لا دخل لى بهذه القصة هذه المرة .. لقد جربت الذهاب هناك مرة أو مرتين . فقط أردت أن أخبرك بالسبب الذى جاء بالنصاب اليهودى هنا .

لما انتهى من المراسم اتصل بى ، ورحبت به صادقًا .. لقد أقام عندى ذات مرة .. هل تذكر ؟

لكنه كان يقيم فى فندق رخيص من فنادق وسط البلد .. يبدو أنه قريب جدًا من شارع رمسيس . واتفقنا على اللقاء ..

تم اللقاء فى مطعم فى شارع كلوت بك . مطعم يقدم وجبات شعبية دسمة ، ومن الغريب أنه راق له جدًا .. بالطبع ذهب للحمام ست مرات بسبب البروستاتا كما تعلمون ، والسبب أن

حمام المطعم لم يكن آية فى النظافة وإلا لذهب عشر مرات ... فيما عدا هذا كان يتمتع بشهية الأسماك الصغيرة كما عودنى .. بأكل أضعاف وزنه عدة مرات ..

قال لى وهو يمزق الدجاجة المحمرة تمزيقًا :

ـ « ما أخبار غزواتك فى عالم الماورائيات ؟ »

قلت باسمًا :

ـ « ليست ممتازة . لم أقتل مصاصى دماء أو مذءوبين من فترة .. يبدو أننى شخت حقًا .. »

قال وهو يجفف العرق على وجهه بيده الدقيقة :

ـ « أنا سعيد أنك بخير ... لقـد وصلنى خطاب مؤخرًا من صديقك .. كان يسأل عنك .. »

صديقى ؟

قلت :

ـ « هارى شيلدون ؟.. لم أعرف أن ...... »

ـ « لم أقل هارى شيلدون .. أنا اتكلم عن د . لوسيفر ! »

توقف الطعام فى حلقى فبحثت عن كوب ماء أبتلعه به .. وقلت :

ـ « من جعله صديقى ؟.. أنت من قدمه لى .. »

ـ « وقد أحبك أكثر منى .. يقول إنه يرتقب لقاءك .. أو بلغته (إننى للقاء الرجل لمشوق) .. أما ما حدث فى تلك الليلة فغريب .. لقد حلمت بك . كنت تركض فى مدينة خالية وتدق الأبواب الموصدة . لا أحد يفتح لك .. فى الوقت نفسه ينتشر ضباب كثيف ثقيل .. أنت مذعور .. ثم فجأة يظهر عبر المنعطف رجل فارع الطول يلبس الأسود .. أعرف أنه لوسيفر نفسه .. إنه يريد شيئًا منك لكنى لا أعرف كنهه .. »

ـ « وبعد هذا ؟ »

ـ « ينفتح أحد الأبواب .. أرى رجلاً أصلع الرأس مخيفًا يلبس عباءة سوداء . يقول لك : تعال .. تعال إن كنت ترغب فى الحياة . تسأله من هو فيقول لك بابتسامة كريهة : يطلقون على ألستر كراولى . فى اللحظة التالية يجذبك من معصمك وينغلق الباب ! »

مزقت لقمة كبيرة ودسستها فى طبق البامية محاولاً أن أبتلع هذا الكلام ..

ـ « إذن سوف يطاردنى لوسيفر فأحتمى بكراولى .. كراولى الوحش الشيطان .. أشر رجل على ظهر الأرض .. »

ـ « هذا ما رأيته .. اذهب فحاسب عقلى الباطن ولا تحاسبنى أنا .. »

مضغت البامية فى تعاسة وقلت :

ـ « السبب واضح .. أنت أكلت أكلة مصرية قاتلة مثل الملوخية أو الفتة بالثوم ، ثم نمت على ظهرك .. فى الكابوس أدخلت كل الخيوط معًا .. وبالطبع ظهر كراولى لأنه كان مهتمًا بالهرميتات وكتاب تحوت .. لقد جاء مرارًا لمصر كى يجد الكتاب .. »

قال فى تلذذ :

ـ « مصر .. هـذا البلد المفعـم بالأسرار .. لو كان بلدنا أو كان عندنا مثله لصنعنا أروع الأفلام السينمائية وأروع قصص المغامرات وقصص الرعـب .. لكنكم للأسف لا تعرفون قيمة بلد كهذا و ... معذرة .... »

ثم مسح يده وهرع يركض نحو الحمام ..

جلست وحدى أفكر .. صخب المطعم من حولى لكنى لا أعى أى شىء على الإطلاق . صدفة غريبة فعلاً ... لوسيفر يظهر لى ويظهر له ... إذن هو ....

لما عاد كولبى ووضع المنشفة على صدره وواصل الالتهام ، قلت له :

ـ « كولبى .. هنـاك شىء قـادم .. ثمة شىء مخيف سيحدث عمـا قـريب .. هناك علامات كثيرة تشير لهذا ، والدكتور لوسيفر يدبر لى شيئًا ما .. أنا أعتقد أن بوسعك أن تساعدنى .. »

ثم بدأت أعد على أناملى :

ـ « ماذا يريد لوسيفر منى ؟.. لماذا ألقاه طيلة حياتى ؟.. لماذا لا يقتلنى ؟.. لماذا يلاحقنى هذه الأيام بالذات ؟ »

فكر قليلاً .. حك أنفه ثم تذكر أنه يفعل هذا بالسكين حتى كاد ينزعه من مكانه ...

ثم قال :

ـ « اسمع . هناك طريقة واحدة تجيب عن أسئلة كثيرة .. أنا رأيت فى المنام أن كراولى أنقذك أو كان يحمل خلاصك .. أنا قادر على أن أكفل اتصالاً لك مع كراولى .. »

ـ « آها .. نغمة جلسات تحضير الأرواح هذه .. »

قال فى جدية :

ـ « ليس استحضار أرواح بالضبط .. بل استحضار شياطين .. كراولى يملك الكثير من خواص الشياطين وبوسعى أن أجعله يتجسد فى دارك .. »

ـ « وهل يملك الإجابة ؟ »

ـ « الكابوس يقول إنه يملكها .. دعك من أنه لو كان بشرى واحد يعرف الإجابة فهو ألستر كراولى .. »

رحت أفكر ..

هذه مخاطرة بالتأكيد .. لكن لابد أن أعرف ..

هذا الشعور الشيطانى بأن القصة بلغت نهايتها يثير جنونى . إن لوسيفر يدعونى للمواجهة .. ما فرصتى لو واجهت لوسيفر ؟ أنا كنت فى جانب النجوم ، وأعرف كيف ترتجف الغيلان أمامه ، وكيف يجفل سادة جانب النجوم وكل صاحب صيرورة هناك من مرآه ..؟

لا فرصة أمامى على الإطلاق .. لكن الرجل يريد أن يواجهنى .. أريد أن أعرف ..

هكذا وافقت كولبى .. واتفقنا على أن تتم التجربة المرعبة فى دارى ..

واتخذنا بعض الاحتياطات المهمة .

* * *

فى التاسعة مساء بدأ كل شىء ..

غرفة مكتبى مظلمة تمامًا فيما عدا شمعة واحدة تشتعل فى دلو موضوع على المكتب . اللهب المتراقص يعبث بالأضواء والظلال فى أرجاء الغرفة ..

جلس كولبى أمامى .. متوتر هو بحق . راجف الأطراف ..

أعتقد أنه يفهم جيدًا معنى التعامل مع كراولى ..

هنا جاء الجزء القذر من القصة .. لقد أخرج من حقيبته شيئًا .. دققت النظر فأدركت أنه خنجر طويل يشبه خناجر (الآثامى) التى يتعامل معها سحرة الويكا .. لابد أنك تذكر هذه الخناجر من قصة الظلال الحية إياها ..

* * *

« ما نوعية هذه المدية ؟ »

قالت ولفافة التبغ فى فمها ومن دون أن تنظر لى :

— « أثامى athame »

أثامى !.. هكذا صارت الأمور مفهومة ..

عدت أسألها :

— « أثامى ؟.. هل لهذا معنى ما ؟ »

قالت دون أن تنظر لى :

— « هى مدية طقسية تستخدم فى عدة أغراض .. الساحرات يستعملنها لتوجيه الطاقة نحو هدف ما .. يستعملنها لرسم الدوائر السحرية .. يستعملنها لطقوس الزواج وافتتاح مراسم السحر .. يستعملنها كى تدلهن على الجنوب .. »

* * *

طلب منى كولبى أن أمد يدى فمددتها .. طبعًا كنت أعرف الجزء التالى .. أى !.. غرس نصل المدية فى كفى ,, لابد من

أخذ قطرات دم منى .. بعثرها على الأرض ثم ناولنى منديلاً ورقيًا .. أرجو أن يكون دمى قابلاً للغسل من على أرضية غرفتى الخشبية ..

لكن الأمور لم تنته بعد .. لقد نهض ورسم تلك النجمة الخماسية اللعينة بالطبشور على أرض الغرفة . كدت أقول له إن زوجتى سوف تنسفه نسفًا لو رأت المشهد ثم تذكرت أن زوجتى لا وجود لها . ثم إنه عمد إلى الحقيبة من جديد فأخرج جمجمة لا توحى بالثقة ، وفى محجريها (الحجاج) توجد شمعتان قصيرتان .. أشعلهما ..

دعنى أؤكد لك أن التأثير كان شيطانيًا فعلاً ...

قلت له همسًا وأنا أتوتر فى جلستى :

— « كولبى .. هل تعرف ما تفعله حقًا ؟ »

— « ش ش ش ! انتهى وقت المزاح ! »



هذا هو الموقف العتيد .. فجأة لم يعد ذلك الكائن الوديع القابل للسيطرة عليه .. صحيح أنه ذهب للحمام 146 مرة ، لكن شيئًا فيه قد تغير .. كراولى لم يأت بعد لكنه أتى بقوة !

بدأ كولبى يتلو الكلمات الغامضة .. ربما هى لاتينية .. ربما هى آرامية أو سريانية .. لا أعرف حقًّا ..

كنت أجلس متوترًا أراقبه فى الضوء الخافت ..

أشعر بنعاس عميق أعتقد أنه ناجم عن الضوء الخافت والملل معًا ....

لكنى ظللت أراقبه ..

هنا بدأ ذلك التأثير البصرى الخافت .. عندما تراقب بقعة فى طلاء الجدار ، وفجأة تدرك أنها ليست بقعة بل هى بورص يقف متجمدًا . عندما تراقب صخرة فى الظلام ترى حدودها ثم تدرك أن شيئًا ما يوجد فوق هذه الصخرة .. فى طفولتى ظللت أراقب فى رعب ما بدا لى كأنه فيل متجمد فى ضوء القمر الخافت

وينظر لى متحفزًا ، ثم بدأت أدرك أنها كومة من الدريس ، والأهم أننى صرت عاجزًا تمامًا عن رؤيتها كفيل مرة أخرى ...

أعتقد أن أقرب وصف لهذا هو الباريدوليا Pareidolia ..

الآن بدأت ببطء أدرك أن هذه ليست غرفة مكتبى ..

هذه غرفة أكثر اتساعًا .. هناك حشد من الكتب لا حصر له على الجدران الأربعة ... هناك رماح معلقة وأقنعة أفريقية ... هناك صنم يشبه أصنام جزيرة عيد الفصح لكن حجمه يناسب الوضع فى غرفة طبعًا .. ربما هو فى حجم ثلاجة متوسطة ..

وعندما دققت أكثر أدركت أن هناك منضدة .. هناك دخان سيجار ..

أرى كل شىء بصعوبة فى ضوء الشموع التى يبدو أنها الشىء الوحيد الذى بقى لى ..

هناك رجل ضخم الجثة أصلع الرأس يجلس إلى المنضدة ويرمق السيجار المشتعل ... رجل يلبس بذلة من التويد لها صديرى وهناك ساعة بسلسلة تتدلى من الجيب ..

سيد إنجليزى كما هو واضح .. عتيق الطراز جدًا ..

إن عينيه ثاقبتان .. بل هما قاتلتان قادرتان على اختراق كل شىء ..

بحثت بعينى فى الظلام عن كولبى .. لا أثر له .. لقد ذاب ..

وهنا بدأت أفهم أن هذا الجالس أمامى هو ألستر كراولى .. هو الشيطان ألستر كراولى الذى استدعاه كولبى كما يفعلون مع الشياطين ..

كان أمامه دورق كبير وتلك الأداة التى يطلقون عليها السماور .. وأقداح قهوة ..

ترى كيف مذاق القهوة التى يعدها كراولى ؟

رفع عينيه نحوى ببطء وبصوت عميق ثابت بدأ يتكلم ....

الفصل الثالث

مع بيزارو

كان السؤال هو : ماذا سوف يفعلون مع أتاهولابا ؟

أتاهولابا ..

من يجسر على أن يؤذى هذا الرجل ؟

* * *

أقدم لك نفسى ..

أنا (أجناسيوس) .. أحد المبشرين المصاحبين لهذه الحملة الإسبانية .. فى هذه العصور كان التبشير ناجمًا عن رغبة استعمارية متخفية .. أنت تعرف أسطوانة (عبء الرجل الأبيض) هذه .. هذه الكائنات فى أفريقيا والعالم الجديد كائنات حقيرة منحطة لا تستحق الحياة .. لذا نتنازل نحن البيض ونحتل أرضها ونسلب كنوزها ونعلمها الحضارة والدين ..

ربما كان الأمر كذلك ، لكن أؤكد لك إننى كنت أريد نشر كلمة الرب فعلاً .. هؤلاء القوم وثنيون يعبدون حشدًا من الآلهة ، وشعرت أن واجبى يقضى بأن أعلمهم الدين الصحيح ..

كنت قد اكتسبت بعض الخبرات .. لا أحـد يتبع دينك لأنك تضربه بالمدفع أو تقطع رأســه . إنهم يتبعـون دينك عنـدما

يكتشفون أنك رحيم وأنك تعالج مرضاهم وتجلب لهم الطعام ، ولديك حشد من الاختراعات الحديثة ..

الملح مثلاً .. لا تتصور مدى أهمية الملح لدى هؤلاء البدائيين .. إنه قد غير نظرتهم للطعام وللعالم بالكامل ، دعك من اختفاء التقلصات العضلية المؤلمة التى يشعرون بها بسبب العرق والحر ..

عندما تقدم الملح للرجل البدائى فهو يتبعك .. عندما تعلمه النسج فهو يهتم بك .. عندما تعالج ابنه فهو يحبك .. عندما تكلمه عن الرب فهو يطلب أن يصير مثلك ..

هذه هى القواعد ... القواعد التى لم يفهمها بيزارو والأغبياء الآخرون ..

اسمى إجناسيوس ...

ولدت فى الشرق الأوسط لكننى لا أعرف أبى ولا إخوتى حقًا .. فى طفولتى اختطفت وصرت عبدًا لدى تاجر إسبانى لكنه أعتقنى على الفور .. وبعد هذا تربيت فى إسبانيا فلم أعرف لى وطنًا سواها ، وقد تزوجت فى شبابى فى سن مبكرة جدًا وأنجبت ، ثم تركتها وتركت أطفالى .. ولا أعرف كيف ولا متى وجدت نفسى مع جيش بيزارو ..

لقد نسيت كل شىء عن عالمى القديم فلم أعد أعرف سوى هذا العالم ..

بيرو ..

* * *

فى بيرو كانت حضارة الإنكاس ..

حضارة عريقة ، قريبة جدًا من حضارة المايا فى المكسيك ..

إمبراطورية الإنكاس أهم وأكبر إمبراطورية فى أمريكا الجنوبية قبل غزو الإسبان .. كان ذروة مجدهم فى القرن الخامس عشر .

أثناء حملات الإسبان فى أمريكا الجنوبية عرفوا أن هناك بلدًا غنيًا بالذهب يقع على نهر اسـمه (بيـرو) . كل مدن أمريكا الجنوبية ــ حسب كلام الإسبان ــ مصنوعة من ذهب .. كلما تكلموا عن بلدة قالوا إنها من الذهب وشوارعها ومبانيها ذهبية ، وأطلقوا عليها (ألدورادو) كالعادة ..

هكذا سال لعاب بيزارو وقرر أن يقوم بهذه المهمة .. وبدأ تنظيم الحملة .... الحملة التى تضمنت أشخاصًا مثلى ...

فى عام الرب البركة 1532 أقلعت سفن بيزارو الغازى الإسبانى ومعه جيشه من السفاحين نحو أمريكا الجنوبية . لقد منحته الملكة إيزابيلا إذنًا مكتوبًا بأن يغزو أرض الذهب التى صار اسمها (بيرو) ...

كنت أنا فى واحدة من تلك السفن ..

أعرف أن مهمتى صعبة ..

أعرف أن الإنسان قاس حقًا وإننى سأرى فظائع كثيرة ، وسوف يحاول الآخرون إقناعى أن هذا يتم من أجل الرب ..

حقًا لا أفهم طرق الإقناع هذه .. ربما بسبب غبائى الشديد ..

أن تقطع أيدى الأطفال أو تحرق قرى كاملة أو تنتهك النساء أمام أزواجهن ، هذا قبل أن تقطع رقاب الأزواج طبعًا ..

من أجل الرب ؟...

من الغريب كذلك أنهم يلوموننى لأننى غير متحمس ..

على ظهـر السفينة عـرفت ذلك الرجـل غريب الأطـوار .. يطلقون عليه اسم (فيسول) ويقولون إنه من أصل برتغالى ..

أسود الشعر والعينين والثياب والنظرات .. له صوت غريب عميق يذكرك بصوت النمر ..

عرفت أن هذا الرجل هرطيق ..

تبادلنا الآراء أكثر من مرة وعرفت أنه لا يؤمن بشىء .. على الأقل يؤمن بمجد الشيطان وسيطرته على الأرض ، ولو تبادل هذا الكلام مع واحد سواى لأفشيت سره ، لكنى كنت أميل للسلام .. لذا رحت أتحاشاه ..

الأغرب أنه كان يلاحقنى باستمرار ..

هل يريد ضمى لعقيدته الغامضة ؟.. لا أعرف .. لكن ليعتبر نفسه محظوظًا لأننى لم أفش سره لكبير القساوسة فى الحملة .. فقط أرجوه أن يبتعد عنى ..

رأيته فى أحلامى أكثر من مرة ..

كان هناك فى سقر .. يمشى وسط النيران كأنه يجول وسط أزهار فى بستان . وكان يردد :

ـ « تعال أيها الفانى .. تعال .. »

لم أفهم ما يعنيه هذا الحلم ..

لكنك فى النهاية لا تستطيع أن ترتاح تمامًا لشخص تحلم به يمشى فى سقر ... أنت تفضل أن تنأى عنه ..

* * *

فى موقعة بونا تم الالتحام بين قواتنا والبروفيين ...

إن الحضارة الحديثة لا يمكن مقارنتها أبدًا بالإنسان البدائى .. لقد تكومت جثث قتلاهم بينما لم نفقد نحن سوى ثلاثة رجال .

ابن عم بيزارو العظيم (كورتيز) استطاع أن يقتل مئتى ألف شخص خلال ثلاثة أيام فى المكسيك .. يخيل لك فى لحظة أنك تصطاد السمك من برميل ..

هكذا استطاع بيزارو أن يتوغل فى الأرض ، وسرعان ما أنشأ أول مستعمرة إسبانية هى (سان ميجيل دى بويرا) .

الحقيقة أن هذه الحملة تعكس بدقة مزية التكنولوجيا .. الكثرة تغلب الشجاعة ، والتكنولوجيا تغلب الاثنتين .. الإسبان كانت حملتهم تتكون من 300 رجل ، بينما عدد البيروفيين كان ثمانين ألفًا .. بالطبع هذه أرقام تدلك على أن النصر محتم .. للإسبان .. البنادق والمدافع أشياء لا قبل للوطنيين بها ..

تمت المواجهة مع الإمبراطور أتاهولابا فى موقعة كاخاماركا ... أتاهولابا إمبراطور عظيم الشأن عادل يحبه قومه فعلاً ..

كانت النتيجة أن أتاهولابا سقط فى الأسر ..

هذه حرب على كل حال .

لكن المدعو فيسول ذهب إلى بيزارو فى خيمته ..

كنت هناك وهو يكلم الرجل الممسك بكأس نبيذ عملاقة ويرمق النار شاردًا :

ـ « أى بيزارو العظيم .. أيها الفاتح الذى يطلق عليه الوطنيون الإله الأبيض .. إننى بنصرك أسعد ولك قلبى يطرب ... »

رفع بيزارو عينيه يرمق الرجل .. الحق إن طريقته كانت جذابة وكان له حضور خاص . كما أن صوته كان عظيم التأثير .. على الأرجح يلعب الصوت العميق دورًا أساسيًا فى قوة الشخصية ..

قال بيزارو :

ـ « تعال يا فيسول وقل ما تريد .. »

قال فيسول وعيناه تلمعان كأنهما شعلتان أوقدتا على قمة قامته الفارعة :

ـ « أتاهولابا يجب أن يحاكم وموتًا يموت .. »

قلت أنا فى سخرية وقد أضحكنى هذا التناقض المنطقى :

ـ « يحاكم ويعدم ؟؟؟ ... إذن لماذا يحاكم أصلاً ؟ »

لكن بيزارو كان على استعداد لسماع أكثر الأفكار دموية .. قال فى وهن :

ـ « الرجل قد وفى بوعده وجلب لنا كل الذهب الذى طلبناه افتداء لنفسه .. »

ـ « هو متآمر .. تآمر ضد إسبانيا وتآمر ضد بيزارو العظيم .. وإعدامه سعطى درسًا ممتازًا للآخرين .. »

لم أفطن من قبل لهذه الحقيقة .. وجود فيسول كان يشعل النفوس دومًا .. إنه (يوسوس) بالمعنى الحرفى للكلمة ، ووسوسته تسبب المذابح ..

لقد حضرت أكثر من مجزرة حقيقية وكان هو مسئولاً فى كل منها ..

قلت معترضًا :

ـ « سيدى بيزارو .. الوطنيون لن يتركوا ملكهم يعدم .. سوف يثورون ويحدث التحام عنيف ، وسوف يموت منهم أضعاف من ماتوا .. »

قال بيزارو وهو يجرع ما بقى فى كأسه :

ـ « سوف نحاكم الرجل .. »

عدت أكرر :

ـ « ليس الرجل خاضعًا لنا .. إنه يعتبر مواطنًا أجنبيًا ويجب أن يعامل كما يعامل الأسرى .. »

عاد بيزارو يكرر فى قسوة :

ـ « سوف نحاكمه ونعدمه .. هذه كلمتى .. »

بالطبع تم تنفيذ هذا حرفيًا ..

وجاء اليوم الذى أعدم فيه أتاهولابا العظيم .. أعدموه بتحطيم فقرات العنق بالجاروت ..

كان رد الفعل سيئًا كما توقعت .. بل إنه لم يرق لملك إسبانيا نفسه الذى اعتبر أنهم أعدموا ملكًا أجنبيًا أسيرًا ...

* * *

ثار الوطنيون وحدثت مناوشات عدة ..

وأنا أرى أن معهم حقًّا طبعًا .. الرجل قد دفع فدية ضخمة من أجل حريته فلماذا يعدم ؟..

كانت هناك قرى كاملة تدق الطبول وتشعل المشاعل ، بينما يقف الشباب بقبعات الإزتك المخيفة إياها يرقصون واللهب يلتمع على أجسادهم المبللة بالعرق ..

الكهنة يتكلمون بالتأكيد عن الآلهة البيض الذين قتلوا ابن الشمس ...

تظهر الرماح وتلمع فى الضوء ..

الانتقام .. الانتقام ...

كنت أجد معهم حقًّا ، لكننى كذلك وجدت أنه لابد من قمع هذه الثورات بسرعة .. يمكن دائمًا أن تمارس نوعًا من الحزم غير الدموى ..

لكن الأسبان تصرفوا بشراسة حقيقية .. راحوا يهاجمون القرى فيربطون الأكواخ بالجنازير بمن فيها ويشعلون فيها النيران .. إن سجلات فظائع الحروب ضخمة وتتسع لأشياء كثيرة ، لهذا يمكنك أن تتخيل ما حدث .. كيف كانوا يربطون الفتى إلى أربعة خيول تتحرك فى اتجاهات مختلفة لتمزيق أوصاله .. كيف غلوا أحواض الزيت المغلى ومن وضعوه فيها .. إلخ ..

كنت أحترق جنونًا وعجزًا ..

كل هذا يلصق باسم الرب ...

لابد أن هؤلاء القوم قارنوا بين آلهتهم الميالة للسلام التى لا تفعل شيئًا على الإطلاق ، وما ندعوهم نحن إليه بالنار والدم ..

إن ما يقوم به مبشر مثلى فى عامين يهدمه جندى ثمل فى ثانية واحدة ...

ومن تظن أنه كان يقود هذه المذابح ويحركها ؟

فيسول طبعًا ..

كنت أراه يقف هناك وسط اللهب ، ممسكًا بسيف يقطر منه الدم ، وفى يده قرعة امتلأت بالخمر .. وهو لا يكف عن الضحك ... هاجموا أى أبطال إسبانيا ... اسفكوا الدم .. مزقوا .. أحرقوا .. اغتصبوا ..!

كان يصدر الأمر ويراقب الجنود وهم يذبحون ويقتلون .. ومن الغريب أن سهام القوم المسمومة تمر بجواره فلا تصيبه أبدًا .. كأنه الشيطان !

الشيطان ؟؟؟؟

* * *

لماذا يحمل الرجل هذا الاسم الغريب : فيسول ؟

لو استعملنا بعض الخيال لوجدنا أنه قريب جدًا من اسم (لوسيفر) معكوسًا ... فقط تم حذف الراء للتورية ..

أنا أعرف اسم لوسيفر بالطبع وأعرف معناه .. حامل الضياء .. أمير البهاء ..

يبدو هذا غريبًا لكنه يتسق مع القصة كلها ..

هل أذهب لبيزارو لأخبره أن الشيطان ضمن رجال الحملة وهو يقنعنا بعمل أعمال دموية ؟.. يمكننى تخيل وجهه وأنا أقول هذا .. بالطبع لا أجسر بتاتًا ..

لكنى فى النهاية حزمت أمرى ..

كان القمر قد اكتمل وهو يكسو المنطقة بضوئه البارد المخيف نوعًا .. هناك مشاعل معلقة على أسوار خشبية تحيط بالمعسكر . المعسكر الذى صار اسـمه (سان ميجيل دى بويرا) . هناك حراس من رجالنا يقفـون على مسافات متباعدة وأنا أمشى فى الظلام قاصدًا خيمة القائد بيزارو ..

أنا إجناسيوس التقى الذى سيعيد لهذه الحملة رأسها ..

فجأة لم أعد أدرك ما حدث ..

لقد تلقيت ضربة مروعة على مؤخرة رأسى أو هذا ما خطر لى .. بالطبع لا يوجد وقت كاف لعمل دراسة مدققة ..

ساد ظلام دامس ...

* * *

عندما فتحت عينى ببطء كان الفجر دانيًا ...

هواء الفجر منعش بارد لكنى بالفعل عاجز عن تحريك أطرافى .. أدركت أننى مقيد إلى شجرة .. بطريقة محكمة فعلاً ...

فى الضوء الخافت رأيت ذلك الشخص واقفًا وظهره لى .. أرى السلويت الخاص به وهو يواجه الغابة . أدركت على الفور من قامته الفارعة وثيابه السوداء أنه هو لوسيفر ..

كان يدخن أعشابًا من تلك التى يدخنها الوطنيون ، ويلفونها فى ورقة شجر جافة طويلة .. لذا كنت أشعر أنه تنين عملاق يتصاعد الدخان من بين شدقيه .. وأدركت أننى هالك ..

استدار لى وقال وهو يبتسم :

ـ « إجناسيوس التقى فى ضيافتى .. إننى لأسعد .. »

قلت وأنا أحاول التملص :

ـ « أما هذا فقد تجاوزت كل حد فيه .. خلافى معك ليس مسوغًا لتقييدى هكذا .. »

قال بصوته القوى المؤثر :

ـ « أريد أن تعتصر ذاكرتك .. أريد أن تجد فيها موضع كتاب المعظم ثلاث مرات تحوت .. ثمة أحداث وقعت منذ زمن سحيق فى الجليل .. فلسطين .. تذكر .. »

قلت بصوت عال :

ـ « أنت جننت .. أنا لم أر فلسطين قط .. »

ـ « أجدادك فعلوا .. وأجدادك لم يفنوا .. إنهم هنا .. فى خلايا عقلك أيها الفانى .. ولعمرى أنت على استعادتهم لقادر .. »

شعرت بلدغات كثيرة على ساقى .. لدغات مؤلمة جدًا لكنى لم أعرف مصدرها .. الظلام ووضعى المقيد .. لكنه خمن من صوت الأنين الذى أصدرته ما يدور ، فقال :

ـ « هـذه لدغات النمـل المحارب .. النمل المحارب يبنى بجسده عشًا لنفسـه ويتوارى فى جـذوع الشجر .. الشغالات بالداخل أما الجنود المحاربون فيوجدون فى الخارج .. بعد قليل يشعر المحاربون بدنو لحم غريب .. ومن أجل اللحم الغريب يغادرون العش .. »

ثم نظر للسماء فى افتتان وقال :

ـ « أشد ما سيكون ألمك .. تلكم ميتة لا كأى ميتة أخرى .. ذلك ألم لا كأى ألم آخر .. اصرخ كما شئت فلن يسمعك أحد لأن بيزارو بعيد .. »

ـ « كيف أقول ما لا أعرفه ؟ »

ـ « سوف تعرفه وأصاحبى .. سوف تعرفه .. »

كانت اللدغات تتزايد وبدأت أشعر أن الألم لا يطاق فعلاً ... ساقاى .. بعد قليل سوف يأتى دور فخذى .. بالتأكيد هناك قطع لحم تنزعها الفكوك الصغيرة لهذه الحشرات ..

رفعت عقيرتى بالصياح لكن أحدًا لا يسمع ..

صرخت أكثر ...

فجأة رأيت شبحين ينقضان من الأشجار .. عندما سقط الضوء الواهن الأزرق عليهما عرفت أنهما من البيروفيين ، وكانا يحملان سيفين طويلين منحنيين ...

هوى السيف الأول على عنق لوسيفر فأطلق عواء كالذئاب .. لم أعرف إن كان قد مات أم لا ، لأن السيف الآخر هوى على عنقى فى ذات اللحظـة .. هـم لم يبالوا بكونى مقيدًا ، وإننى

لهذا ممتن .. فقد أراحونى من ميتة بطيئة قاسية تمتد أيامًا أو ساعات ...

إنهم راغبون فى الانتقام من الآلهة البيض حيثما كانوا ، وحتى لو كانوا مربوطين إلى شجرة نمل محارب ..

كانت زاوية الرؤية غريبة الآن فادركت أن رأسى ليس فى موضعه ..

الفصل الرابع

فى أحضان الطاعون

كان كراولى مجنونًا بالتأكيد .. وهذا الجنون أدى به إلى حالة من اعتقاد النبوة فى نفسه ..

من ضمن خيالاته أنه تصور أن كيانًا اسمه (عيواس) هو الذى جاء له ليمليه كتاب ثيليما الذى يحوى فلسفته .

كان فى القاهرة عام 1904 .. وكان يحاول الاتصال بتحوت رمز السحر المصرى القديم .. وهنا يزعم أنه وجد فى القاهرة قناعًا لفرعون اسمه (عنخ إف خونسو) .. هذا القناع كان يعرض فى المتحف تحت رقم 666 أى رقم الوحش .. وقد أطلق هو على هذا القناع اسم (قناع الرؤى) الذى أوصله للاعتدال القمرى .. هذا الاسم سيكون هو اسم المجلة التى يصدرها فيما بعد : (إكوينوكس) ..

لم يستطع كراولى قط أن يصف عيواس بدقـــة أكبر .. لم يقل هل هو بشرى أم شيطانى .

باختصار هى قصة معقدة جدًا جدًا .. لكن المرء لا يشعر بأى راحة لدى التعامل معها ، خاصة لو تذكرت أنك جالس فى الظلام مع كيان غريب يفترض أنه كراولى نفسه ..

قال كراولى وهو يشعل سيجارًا غليظًا :

ـ « فى الثليما .. علمنا عيواس أن مفتاح الاستنارة هو اتحاد الأضداد كما فى الحب .. »

هززت رأسى لأظهر أننى مهتم جدًا بما يقول ، لكنى فى الحقيقة كنت مشتاقًا إلى إنهاء هذه الجلسة .. المشكلة هى أننى لا أعرف طريقة الخروج منها . لقد اختفى كولبى بل اختفت حياتى ذاتها ..

لم يعد هناك سوى حاضر طويل أجلس فيه هنا أصغى إلى هذا الوحش فى الظلام .

لشد ما تفرقت السلالة عبر البلدان ... مثلاً لم أتخيل قط أن لى جدًا رأى جرائم ريا وسكينة ، ولا أن لى جدًا كان فى بيرو مع رجال بيزارو .. لكن لم يكن أحدهم عقيمًا .. كل واحد فيهم كانت له ذرية ..

هنا شعرت بقشعريرة ...

أنا الآن فى الحاضر .. فى مصر .. فى هذا الوقت كان أخوتى جميعًا ـ أبناء عبد الحفيظ إسماعيل ـ قد ماتوا ..

أنا آخر واحد أعرفه من الذرية ، ومن الواضح أننى آخرهم فعلاً لأننى لم أتزوج ولم أنجب ..

معنى هذا أننى فرصة لوسيفر الأخيرة للحصول على ما يريد !!

فرصته الوحيدة عبر الأبدية ... ولو لفظت أنفاسى الأخيرة الآن فقد ضاع مستقبله لو كان لى أن أقول هذا !!

قال كراولى وهو يداعب القط الفوسفورى المخيف :

ـ « نعم .. أنت عرفت .. »

وأنت سمعت أفكارى !

وهذا له معنى آخر هو أن لوسيفر أدرك أن لعبة القط والفار تدنو من نهايتها .. يريد استرداد الكتاب بسرعة ..

صب لى كراولى المزيد من القهوة وقال :

ـ « اشرب .. اشرب فأنت بحاجة لما ينعشك .. إن معاناتك ما زالت طويلة بحق ! »

ثم قال مغمض العينين :

ـ « بعد هذا جاء الطاعون .. »

* * *

بدأ كل شىء هناك فى تلك القرية الصغيرة .

قرية الفرما مهمة جدًا تاريخيًا .. قيل إن أخا الإسكندر الأكبر هو الذى شيدها . لست متأكدًا من هذه المعلومة ، لكنك سوف تجدها أو تجد بقاياها شرق مدينة بورسعيد . لقد دمرها الصليبيون على كل حال فلم تعد منها سوى خرائب ...

هذه القرية تمثل المدخل التقليدى لمصر من الشرق ، وتمثل كذلك سبيل الخروج ..

من هذه القرية كان هناك ضيف غريب يلبس أسمالاً ويمشى حافى القدمين ، وقد غطى وجهه واستند إلى عصا طويلة خشنة .. هذا الضيف كان يتجه نحو فلسطين ..

لا أحد يتكلم مع هذا الضيف ..

لا توجد قافلة يمشى معها ..

لا أحد يجسر على النظر فى وجهه ...

يمشى وحده فى القفار والبرارى والفلوات ببطء .. يخترق الظلام والعواصف بلا كلل .. تعوى الذئاب وتركض نحوه ثم تتصلب وتصدر عواء مثيرًا للشفقة وتتراجع .

هــذه الحيوانات العجماء فهمــت على الفــور أن هذه ليست أرضها ولا ملعبها ..

* * *

كانت هنــاك قرى كاملة فى ذلك العصر ـ القرن السادس ـ ترى ذلــك المسافر الغامض يقطــع البرارى من بعيد ، فكان الفلاحون يرتجفون ويغلقون الأبواب عليهم .. يجذبون أطفالهم الذين يلعبون فى الطرقات ..

لكن الزائر له خطوات .. وتلك الخطوات كانت تبعثر الدم والدموع فى كل مكان ، وكان الصبح يشرق لترى المرضى ممددين فى الطرقات ..

الحرارة مرتفعة .. قئ دموى .. تورم واضح فى خن الفخذ سرعان ما ينفجر ليقذف الصديد .

فى البدء خرجت الفئران زاحفــة .. مذعــورة .. امتلأت الطرقات بها حتى كأننا فى جزء من قصة دراكيولا الأصلية ..

ثم قاءت الفئران دمًا وماتت فى الطرقات وغادرتها البراغيث ..

العلاقة التى فطن لها العبقرى ابن سينا قبل أن يلاحظها أى عالم آخر .. البراغيث بحثت عن عائل آخر فاختارت البشر ..

هكذا راح البشر يتساقطون ..

كلما مر الغريب المسربل بقرية ارتمت الجثث فى الطرقات .. تصاعد الدخان لعنان السماء .. اشتعلت المحارق .. مرت عربات الموت فى الطرقات تجمع الموتى كأنها عربات قمامة ..

الغريب الذى قيل إنه جاء من الفرما يمشى فى ذلك الطريق .. والمضحك أننى كنت أمشى خلفه على مسيرة يومين ..

كل الناس تفر من مسار الطاعون ، لكنى أنا العالم الذى تفرغ للبحــث والاطــلاع سيريانوس ، كنــت أمشى فى نفس مســار الطاعون ..

لم أستطع أن أظفر بسرعته لكنى كنت أعرف اتجاهه ..

* * *

تسألنى من أنا أقول لك إننى أدعى سيريانوس ...

بحثت عن العلم فى كل مكان ، وتفرغت له لكنى متزوج برغم كل شئ . توفيت زوجتى وتركت أولادى فى مصر ..

فى الأيام المنصرمة عرفت أن الله اختارنى لمهمة لا أعرفها بالضبط لكنها بالغة الخطر ..

كنت أغفو فأرى فى الحلم رجلاً مسربلاً بأسمال .. يتكئ على عصا .. كل شىء فيه أسود .. أفكاره .. نظراته .. صوته .. كنت أعرف أنه خطر وأنه ينتمى للشيطان ..

هذا الرجل كان يمشى فى حقل مخضر مورق يانع ، فأرى الأرض قد استحالت جماجم مكومة ، . وأرى الرماد يتكدس .. وأرى النيران تتصاعد من أكثر من موضع ...

كان يستدير لينظر لى .. ثم يواصل المشى ..

كان هناك من ينزف على الأرض فى المنام ، فهرعت أسقيه جرعة ماء وسألته من هذا ..

قال لى :

ـ « يطلقون عليه لوسيفر ... حامل الضياء .. »

هنا عرفت ..

إنه الشيطان .. أو ربما هو شيطان ...

صحوت من النوم فعزمت على أن أقتفى أثر الوباء .. الوباء الذى يزحف من الفرما قاصدًا الشرق ..

كنت أتوقف فى القرى ..

القرى التى امتلأت شوارعها بالموتى .. القرى التى فاحت فيها رائحة العفن وتصاعد الدخان إلى عنان السماء ..

كانوا يوقفوننى ويأمروننى بالعودة .. ابتعد ما دمت تقدر أيها الغريب .. لا يوجد هنا طعام لأن المزارعين ماتوا .. لا يوجد شراب لأن عاصرى النبيذ ماتوا .. لا مأوى لأن البيوت امتلأت بالجثث ..

لكنى كنت أعـرف أننى أتجـه لهدف اختـاره لى الله وعلى الأرجح لن أصاب بالوباء ..

بعد أعوام سيعرف الجنود المسلمون الطاعون عند (عمواس) الفلسطينية . سوف يموت قائدهم (أبو عبيدة بن الجراح) ومعه (يزيد بن أبى سفيان) و(معاذ بن جبل) ومعهم 25 ألف جندى من المسلمين .. (عمر بن الخطاب) سوف يتجه ليتفقد أحوال الجيش ، لكنه لن يعرف هل يواصل أم يعود .. هنا سيذكر له عبد الرحمن بن عوف الحديث النبوى الشهير : "إذا سمعتم بالوباء فى بلد فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع وأنتم فيه فلا تخرجوا فرارًا" . يكون هذا هو القول الفصل ، فيقرر الرجوع .

هذا هو العقل السديد .. لكنى فى هذه اللحظة أتحرك من أجل مهمة واحدة محددة سوف تقضى علىَّ بكل تأكيد .. إننى أتبع الوباء ...

من أجل هذه المهمة أحمل فى جعبة ظهرى سيفًا طويلاً مدببًا عملاقًا ..

سوف أعترض طريق هذا اللوسيفر وأفنيه .. لا شك فى هذا ...

وعندها يتوقف الوباء ..

* * *

كنت أمشى عبر أرض فلسطين ..

بالتحديد فى منطقة الجليل .. عكا بين رأس الناقورة وجبل الكرمل وتلال الجليل ومستنقعات النعامين ..

لسبب ما لا أفهمه أشعر بأن هذه المنطقة مقدسة وتمسنى بشكل شخصى .. ثمة لغز هنا يقف له شعر رأسى .. لكن ما هو ؟

على كل حال هذه الأرض مهد الأديان والرسالات .. لابد أننى شعرت بهذا بشكل ما ..

هناك فى هذا الجرن الفارغ أجلس على القش .. أخرج رغيفًا وألتهمه .. هناك على بعد أمتار مريضا طاعون يلفظان أنفاسهما الأخيرة ..

لست ذا خبرة طبية لكنى على الأقل أعرف أن على الابتعاد عنهما .. سوف نحتاج إلى وقت حتى يعرف العلم أن البراغيث تنقل المرض ...

فرغت من الأكل وكان الشفق يلون السماء ..

تمددت على الأرض ورحت أفكر ..

من الواضح أن رحلتى فى البحث ستطول ..

ـ « جرعة ماء أيها الشيخ .. جرعة ماء ! »

نهضت حاملاً قربتى المصنوعة من جلد الماعز ، وجثوت جوار الشاب المحتضر وسكبت قطرات على شفتيه ..

رائحة أنفاسه !... هذه هى رائحة الموت ذاته ..

كانت عيناه حمراوين شديدتى الاحتقان ، وأدركت أنه فى حالة تسمم دم شديدة ..

ـ « هل أنت من مصر ؟ »

كذا سألنى من بين شفتين متشققتين فقلت : أن نعم ..

ـ « لا تذهب للشرق أكثر .. إن المسافر المسربل فى الظلام هناك .. فجأة سوف تقابله .. »

ـ « هل رأيته ؟ »

ـ « دخل قريتنا عند الغروب منذ أيام .. قال لنا إنه ذاهب إلى بيزنطة .. »

هو فى بيزنطة إذن !..

كما تعرف هناك جزء منى يفكر ويتصرف كسيرياتوس .. لكن هناك جزءًا آخر ينتمى لرفعت إسماعيل . لهذا عرفت ما تعنيه هذه الكلمات ..

بالطبع هو يتحدث عن وباء طاعون جستنتيان **Justinian** عام 541 م .. ثانى أكبر وباء طاعون فى التاريخ .. وكل عالم أوبئة يعرفه جيدًا .. الوباء الأول كان وباء أشدود الشهير .. إن الطاعون يظهر كوسيلة محببة للانتقام السماوى فى النصوص اليهودية ، فمثـلاً يزعمون أن الفلسطينيين عام 1320 ق م فى

أشدود سلبوا التابوت المقدس ، فعاقبهم الرب بأورام فى مواضع سرية من أجسادهم .. الوصف يوحى بشدة بالطاعون الدملى .

هذا هو المستقر الأخير لرحلة المسافر الليلى إذن ..

هناك فى بيزنطة سوف أجده ..

عندما نظرت للفتى كى أسأله المزيد وجدت أن عينيه شاخصتان وأنه لا يرى ولا يسمع .. بالأحرى لم يعد هنا ..

أغمضت عينيه وأرحت رأسه .. لا أقدر على دفنه لذا سوف أغطيه بالقش ..

فى الصباح أواصل رحلتى المخيفة ..

* * *

لكن أى أهوال رأيت فى رحلتى ..

كل يوم كان يحمل مشـاهد أقسى وأشنع ... الأطفال الذين ماتوا فى أحضـان آبائهم .. جثث اللحادين الذين ماتـوا وهم يدفنون جثث من سبقوهم ..

من الغريب أن هذا كله كان يمكن منعه ببعض النظافة وبعض التراسيكلين ..

البشرية قد قطعت شوطًا هائلاً بفضل العلماء ..

ودخلت بيزنطة .. المدينة التى كانت عظيمة وشامخة . ما زالت المبانى رهيبة . الشوارع متسعة ومنظمة .. الدولة قوية فعلاً ، لكن الذعر فى كل مكان والشوارع مليئة بالموتى .

هذا هو طاعون جستنيان الشهير .. نسبة إلى الحاكم الرومانى جستنيان نفسه . فى كل يوم يموت عشرة آلاف رجل .. وقد انتزع الناس أسقف معظم المبانى ليملئوها بالجثث ..

الجثث التى طفحت حتى السطح ..

مما زاد لعنة الوباء أن إشاعة قوية انتشرت بين الناس؛ تقول إن سبيل الشفاء هو أن تنقل عدواك لشخص سليم . النتيجة هى أن المرضى راحوا يقتحمون بيوت الأصحاء ليعانقوهم أو يقبلوهم بالقوة .. لم يشف أحد طبعًا لكن الوباء تضاعف بشكل مريع ..

لقد كتب على هذا الوباء أن يبقى فى بيزنطة خمسين عامًا .. لكن البؤساء لا يعرفون هذا .. يتوقعون أن يرحل حالاً ..

قيل فيما بعد إن الوباء جاء من الصين ، لكنى أنا وأنت نعرف أنه جاء مع المسافر الليلى وبدأ فى الفرما ..

لقد رحت أتتبع الألم والموت .. عارفًا أن هذه خطوات أقدام الوباء .. كان هنا .. مشى هنا .. توغل هنا ..

وفى هذا الوقت شاعت أنباء إصابة الحاكم جستنيان نفسه بالطاعون ..

مررت جوار القصر أقتفى أثر الوباء ..

فى النهاية وجدت أحياء كاملة ما زال أهلها ينعمون بصحة جيدة .. لقد أصابهم الهلع وتواروا فى الأزقة ، أغلقوا السبل أمامهم بمتاريس ثقيلة ... لكن أى متاريس يمكنها صد الوباء ؟؟

لم يفتحوا لى ولم يزيحوا المتاريس ..

صحت بأعلى صوتى :

ـ « ألن تدخلونى أيها الناس الطيبون ؟ »

ظهر رجل ضخم الجثة يحمل بلطة .. اقترب منى فى بطء وحذر وخشية .. لوح بالبلطة كأنه ينذرنى من التقدم أكثر .. ثم ألقى عبر المتاريس بلفافة فتحت عند قدمى ..

جثوت لأفتحها فوجدت بها بعض الخبز وثمرة طماطم وقربة جلدية فى حجم قبضة يدك ، مليئة بالنبيذ ..

لا يريدون أن أموت جوعًا لكنهم كذلك لا يريدون أن أدخل ...

جلست هناك على الأرض عنـــد مدخـــل حى من هذه الأحياء ورحت أنتظر .. سوف يأتى الوباء وسوف تلتقى عينانا .. سوف أعرفه من دون شك ..

* * *

رأيته قادمًا من بعيد ..

كان مجرد شبح يمشى فى الزقاق .. وكان مسربلاً بأسمال .

لا صوت سوى صوت خطواته الثقيلة على حجارة الطريق ..

عرفت أنه هو عندما شعرت بكل هذا السواد يحيط به .. وعندما عرفت أنه الذى أراه فى أحلامى .. وعندما أدركت أنه ينظر لى ..

توقف على بعد خطوات .. ثم قال بصوت ببرى قوى النبرات :

ـ « أنت هنا ... »

لم أفهم .. فعاد يكرر :

ـ « أنت هنا بعد عقود طالت .. بعد قرون امتدت ... وإننى بلقائك أسعد ولك قلبى يطرب .. فلترقص الجثث المتحللة فى انتشاء .. إن لوسيفر والحق يقال راض ... »

هو لوسيفر إذن ..

لكنى لا أفهم .. يتكلم كأننا التقينا فعـــلاً من قبل .. ما الذى يعنيه ؟

لكنى على كل حال كنت أعرف أنه هو الوباء .. هو الموت الزاحف عبر الصحارى ..

مددت يدى فى قرابى وأخرجت السيف .. لوحت به فى الظلام ثم انقضضت عليه ، وقد قررت أن أقطع رأسه ..

لا أعرف كيف وجدت يدًا مخلبية تطبق على ساعدى حتى لتوشك على تهشيمه .. وسقطت على الأرض وأنا أتلوى ألمًا .. سمعت صوت عظمة الساعد يتهشم وهو ينتزع السيف ، بينما هو يقول :

ــ « لو كنت تحسب أيها الفانى أنك قادر على قتل لوسيفر بهذا السيف ، فأنت فان وأحمق معًا ، وإننى لأوشك على أن أجد دمعة شفقة عليك فى مقلتى الجافة كرمال الصحراء .. »

كان الألم شنيعًا ..

أدركت أننى موشك على فقد الوعى .. والأسوأ أننى أدركت أن منظر جلدى يتغير .. إننى أنزف تحت الجلد ..

لقد نقل لى الطاعون . نقله لى فى ثوان .. لكنه لن يتركه يقتلنى طبعًا ..

كنت على ركبتى .. وكنت عند قدميه أحاول النهوض ..

قال بصوته الببرى :

ــ « لن تموت أيها الفانى .. أنت تملك سرًا . وأنا سأعرف كيف أمزق خلايا دماغك كى أنتزعه .. لكنى آمرك أن تسجد للوسيفر .. تسجد لحامل الضياء وسيد البهاء .. »

طبعًا لن أفعل ذلك ..

لكنه يضغط على كتفى ليرغمنى على السجود وأنا أقاوم ..

الدم يسيل من أنفى وفمى .. لقد أتلف الوباء قدرة دمى على التخثر ..

تحاملت على نفسى وحاولت النهوض .. رأيت وجهه القاسى صارم الملامح . لم يكن قبيحًا لكن لم أر الشر يحتشد فى وجه كهذا من قبل ..

نهضت بقوة فارتميت عليه ..

هنا اخترق السيف كبدى .. وسمعته يزمجر غضبًا ...

قلت لنفسى وأنا أغيب عن الوعى : لا بأس .. هذه أفضل نهاية ممكنة للقصة .. إن هذا المسخ لن يرحمنى أبدًا ..

الفصل الخامس

رقصة الأثواب السبعة

كراولى يستمر فى السرد ..

فى تلك اللحظـــات فى ظــلام غرفة مكتبى التى صارت غرفة مكتب بمعجزة ما ، عشت ألف حياة وواجهت لوسيفر اللعين عشرات المرات ..

لم أكن أعرف أننى كنت هؤلاء جميعًا ، ولا أن الصراع محتدم منذ كل تلك القرون ..

حياتى كلها لم تكن سوى فصل واحد من فصول المسرحية الطويلة ذات مئات الفصول ، وفى كل مرة كنت أموت .. ليس أنا كما قلت لك فأنا لا أؤمن بتناسخ الأرواح ، لكن كان جدى يموت قبل أن يفشى السر ...

أعتقد أن لوسيفر كان يتصرف بنوع من الكرامة الجريحة . لقد فقد شيئًا مهمًا يتجسد فيه شرفه ، بسبب فان أحمق مثلى . يمكن ـــ مع فارق التشبيه ـــ أن تتذكر الضابط الذى فقد مسدسه فى فيلم (المشبوه) ولم يستطع أن ينسى هذه الإهانة قط ، وتحولت حياته كلها إلى ملاحقة للص الذى سرق المسدس ...

ناولنى المزيد من القهوة يا كراولى .. يدى ترتجف .. أعرف هذا .. لكنى لن أقلب محتوى القدح على نفسى ..

هلم .. احك لى ..

* * *

رائعة هى سالومى عندما ترقص ..

عندما تدوى الدفوف ويشعل العبيد المشاعل ، وتقف هى فى وسط البلاط تنقل قدميها العاريتين الدقيقتين مع الإيقاع ..

العيون الجاحظة تتوهج بفعـــل الشهوة وبفعـــل النــــار .. لكن هيرودوس قد حرص على أن ينزل غطاء على معظم عيون الرجال الواقفين هنا . لا يحب أن يشاطره أحد ما يراه ..

سالومى ترقص .. تهز شعرها الناعم الأسود وتتقدم لوسط القاعة ، ثم تتراجع .. يسقط الشعر على نصف وجهها الجميل .. تفتح شفتيها ببطء فتشعر أن هذا ليس فمًا لكنه ثمرتا شليك متلاصقتان لو ضغطت عليهما أكثر لسال العصير . من الصعب أن تعيش حياتك بشفتين كهاتين . شفتين لا تستطيع الضغط عليهما بأسنانك خشية الانفجار ..

ذقنها الصغيرة المدببة كأنها الطرف المستدق لثمرة خوخ ناضجة مكسوة بزغب رقيق . تضع أناملها تحت ذقنها وتحرك

أصابع اليد الأخرى بطريقة تذكرك براقصة هندية حسناء .. لغة كاملة تعلمتها من الجوارى القادمات من بلاد السند ، حيث لليد لغة كاملة ذات أبجدية ..

سالومى تدور ثم تركع على ركبتيها ..

كنت أنا واقفًا هناك وسط الواقفين ، وأنا أرتجف لا لحسن سالومى بل لهول المنظر ..

كنت أرى الصينية العملاقة الموضوعة فى منتصف القاعة .. الصينية الذهبية التى ترقص حولها سالومى ، وأعرف جيدًا هذا الشىء الموضوع فوقها .....

الدماء تتساقط مـن أطـراف الصينية .. لماذا تبدو الرءوس المقطوعة كلها كأنها ناعسة تحلم ؟.. لماذا تخلو وجوهها من أى تعبير ؟

* * *

كنت فى الشرق .. كنت أعيش فى زمن الملك هيرود أنتيباس .. أعيش فى الجليل .. هيرود يمثل الإمبراطورية الرومانية هنا . هذه مرحلة زمنية حساسة لأنها تحيط بميلاد السيد المسيح ..

كان متزوجًا من فاسيليس ابنة الملك أريتاس ، ثم تزوج زوجة أخيه هيروديا ... سوف نتكلم عن هذا بعد قليل ..

هل ترون منظرى ؟.. مواطن فلسطينى مسن يمشى فى السوق وهو يحمل جرة بها لبن ، وعلى كتفى سلة مليئة بالتمر .. جدى كان أفضل صحة منى لكنه ما زال مسنًا ضعيفًا ..

يقابلنى الناس فى السوق فيحيوننى :

ـ « عم صباحًا أيها الناسك سمعان .. »

فأهز رأسى محييًا وأواصل رحلتى ..

إنهم يحبوننى ويثقون بى ويعتبرون أننى أعرف الكثير من الأسرار .. هـذا صحيح فعـلاً .. لقد درست كثيرًا وقرأت مخطوطات عديدة وأعرف أشياء كثيرة جدًا ..

أنا أعيش هناك عند حدود الصحراء . تلك الخيمة من جلد الجمال هى بيتى طيلة العام ، وفيها كل ما يلزمنى من مأكل ومشرب .. أنت رأيت أننى أحمل التمر واللبن . هذا كل ما أريده من الكون . لقد نضبت رغبتى فى المال وفى النساء وفى النفوذ .. لا أبغى شيئًا من العالم سوى أن أعرف أكثر ..

لى ابنان لكنهما لا يزوراننى ولا أعرف عنهما شيئًا .. هما رجلان مكتملا الرجولة الآن يجوبان الأرض بحثًا عن الرزق ...

هكذا فى كل يوم أدخل خيمتى ..

ألتهم بعض تمرات وأشرب بعض اللبن ثم أفتح المخطوطات ..

قد يتسلل الشغبر (ابن آوى) للخيمة ويتشمم الأشياء فأظل ثابتًا أنظر له .. أشم رائحة أنفاسه المقيتة تلوث المكان . ينظر لى بعينيه الحزينتين فأنظر له بالمثل .. أجلب له قطعة لحم أعطانيها أحدهم فى السوق ..

بعد قليل يطل بخطمه الرقيق فى الخيمة غزال هياب . أضع فى كفى بضع لقيمات فيدس فمه فيها ويأكل بنهم .

بعد هذا أعيد وضع العباءة على كتفى وأقرأ المخطوطات حتى يضعف ضوء الغسق وتضعف عيناى فأنام ...

* * *

هكذا تمضى حياتى ..

عشتها مع كلمات كراولى يومًا بعد يوم ..

ثم جاء اليوم الذى خرجت فيه من خيمتى فوجدت حوافر الخيول تقف هناك ، وكانت جثة الشغبر على بعد أمتار . هم من الذين لا يطيقون أن يروا حيوانًا دون أن يقتلوه بلا سبب ..

ــ « هل أنت الناسك سمعان ؟ »

كانوا من الجنود الرومان المدججين بالدروع .. الرماح فى أيديهم والدروع تجعلهم أكبر من الواقع .. هززت رأسى أن نعم .. أنا لا أخشى شيئًا .. ماذا يمكن أن يريدوه منى ؟.. لن يسرقنى أحد .. لو قتلونى أراحونى ... ولو نفونى فلا فارق بين موضع وآخر .. لو سجنونى لمنحونى سقفًا وطعامًا ..

كانوا يتكلمون اللاتينية طبعًا .. وأنا أفهمها جيدًا ..

ــ « هيرودوس يريدك .. »

قلت فى أدب :

ــ « هل لى أن أعرف السبب ؟ »

عندما يطلب منك الجنود الرومان مقابلة الإمبراطور فأنا أقدم لك نصيحة : لا تسأل عن السبب .. إن الركض وراء الخيول الراكضة ومعصماك مقيدان بحبل لأمر شاق فعلاً . كانوا يتوقفون

من وقت لآخر ليعطوا فرصة لالتقاط الأنفاس ، وعندما رأوا أننى موشك على الموت وضعونى على حصان ..

فى بلاط هيرودوس كان الرجل مضطجعًا على كوعه ، وهو يأكل الفاكهة .. لم يكن جائعًا لكنه مضطر لأن يبدو كإمبرطور رومانى .. لابد من كرش ولابد من دجاج محمر وعنب وبطيخ .. لابد من زوجته الحسناء قوية الشخصية جالسة جواره .. لابد من عبد من بونت يحمل مروحة من ريش النعام . لابد من نمر مقيد بالسلاسل عند قدميه ..

كان طلبه مشروعًا .. كان يريد من يعلم ابنة زوجته اللغة الآرامية ..

لم أر من قبل مدرسًا خصوصيًا يجلبونه بهذه الطريقة ، لكنى على كل حال لم أجد ما يشين فى هذا الطلب ... طلب العلم مشروع ومقدس دومًا ..

السبب الأهم الذى جعلنى أوافق هو أننى أعرف خطورة الدور الذى ينتظرنى هنا ..

لم أكن أعرف ما هو الدور ، لكنى كنت أعرف أن الوقت قد حان ..

الحقيقة أننى كنت أنام .. وكنت أرى الرؤيا الواضحة ..

هناك نار مشتعلة .. وهناك واد وحفرة يصرخ فيها الخطاة وهم يحترقون .. إنهم يعانون الظمأ لكنهم لا يشربون سوى ماء كالمهل يشوى وجوههم ...

وفى هذا الجو النارى كنت أراه ...

لم أكن أعـرف ملامحـه جيـدًا لكنى كنت أشعر بالهالة المحيطة به ... وعرفت يقينًا أننى لو قابلته لعرفته .. ثمة شيء فيه يوحى بالسواد .. لم أتبين لون شعره ولا عينيه ولا وجهه لكنى قدرت أن السواد يتركز فيه .. فيما بعد سوف يتحدث العلماء عن الثقوب السود عالية الجاذبية التى تمتص الضوء .. لقد كان هذا الرجل ثقبًا أسود يمشى على قدمين ..

كـان يحمـل كتابًا سميكًا .. كتابًا يبدو لى كأنه مـن رقائق البردى ... ومن الواضح أنه كان يخاف عليه جدًا ...

من الغريب أنه كان ينظر لى عبر جدار النوم ــ على رأى الخواجة لافكرافت – فتلتقى عينانا .. أى أنه كان يتصرف كشخص تراقبه خلسة فيستدير لك ، وتلتقى العينان ..

سوف نلتقى ..

عرفت هذا بسهولة ...

كانوا يطلقــون عليــه فى الحمل لقب (حامل الضياء) .. لوسيفر .. هذا الاسم الذى يشير لكوكب الزهرة . نفس الاسم الذى أطلقه المسيح على إبليس لأنه يتيه خيلاء بنفسه .

سألت نفسى : هل هو الشيطان ؟.. على الأرجح لا .. لكنه قريب جدًا منه ..

* * *

سالومى تواصل الرقص ..

تتناول مشعلاً من أحد العبيد وترفعه .. ترقص والمشعل فى يدها حول هيرودوس . هى تعرف كيف أن النار والشهوة يمتزجان بسهولة .. فيما بعد سيقول فرويد إن النار رمز جنسى قوى ، لكنى بالطبع لا أعرف حرفًا من هذا فى ذلك العصر ..

سالومى تلوح بالمشعل والدخان يحيط بها ..

ما ترتديه سالومى ليس ثوبًا بالضبط .. إنه مكون من سبع قطع من القماش تتحايل هى كى تبقيها على جسدها طيلة الوقت . هذه عملية صعبة جدًا لكنها تقوم بها ببراعة ...

الثوب ذو القطع السبع . المرأة القوية القادرة التى تعبث بالرجال عبثًا ..

وهيرودس جالس يخنفر وهو يلتهم تفاحة ثم يجرع كأس نبيذ ..

زوجته هيروديا تراقب الرقص رافعة حاجبًا واحدًا .. وجهها القاسى الجميل ما زال قادرًا على أن يفتن الرجال برغم أنها أم هذا الظبى الجميل الذى يرقص ..

تعرف أن زوجها يعشق ابنتها سالومى ويسيل لعابه عليها ، وهى شريرة .. شريرة لدرجة أن هذا الإعجاب لا يخيفها .. بل ترى أنه سلاح قوى فى يدها ..

ترفع كأسها ملوحة به وتضحك ..

وأنا .. أقف وسط الزحام مدثرًا بعباءتى ...

لقد سرقت الكتاب الثمين . أما عن المكان الذى أخفيته فيه فمعقد نوعًا ..

لقد ذهبت إلى ذلك المعبد القديم ، وتوغلت فيه بضعة أمتار .. قمت بعمل ثغرة فى الجدار ، دسست فيها الكتاب بعد ما غلفته بالكتان ووضعته فى صندوق خشبى صغير ، ثم أغلقت الفجوة

وسددتها بالملاط ونثرت عليها من الألوان ما جعلها كأنها من صخور الكهف ..

رسمت علامة صغيرة أقرب إلى هذه النجمة * فوق موضع الحفر ، وقدرت أننى لن أبحث عن الكتاب ثانية ، لكن لو حدث هذا فلسوف أجد المكان بسهولة ..

أنا هالك .. سوف أموت قريبًا ..

عندما أموت لن يجد أحد الكتاب إلى الأبد ..

أعرف أن الكتاب مرعب خطير ..

المعظم ثلاث مرات لدى المصريين القدماء قيل إنه كتب هذا الكتاب يومًا ما . إنه تحـوت إله السحر عنـد الفراعنة الذى يرسمونه على شكل طائر البلشون أو قرد له رأس كلب يحمل البدر على رأسه ، وإليه ينسب اختراع الكتابة . كما قيل إنه ابن رع الأكبر . قيل أنه كتب كتاب الأسرار الذى يداريه فى مكان خفى وحل شفرة هذا الكتاب يمنح سيطرة مطلقة على الطبيعة . أنا أعرف أن هذا هو الكتاب بعينه ..

هذا الكتاب (عهدة) . وعهدة مهمة لدى حامل الضياء الذى يطاردنى فى أحلامى ...

كيف عرفت هذا ؟ ... لأننى متعلم أولاً .. ولأنه هو هيردوديا أم سالومى ثانية !

* * *

كانت سالومى رائعة الحسن فعلاً ...

كان معنى اسمها هو (السلام) بالعبرية ..

فتاة مثلها قادرة على تغيير خرائط الكون وتغيير مصير أمم كاملة . وقد حمدت الله عندما تعاملت معها ، على أننى شيخ محطم لم يعد فى عروقه دم حار يكفى ليشعر بالحب . التعامل مع هذا الجمال الحارق الساحق أمر عسير على من كان له قلب ينبض .. بعبارة أخرى أن النظر فى الشمس يؤذى من كانت له عينان لكنه لا يؤذى الكفيف ، وأنا كنت كفيفًا ..

علمتها الآرامية وكانت سريعة التعلم فعلاً ..

سألتنى ذات يوم :

ـ « هل تعرف يوحنا المعمدان ؟ »

سؤال غريب .. قلت لها فى حذر :

ـ « إنسان طيب .. إنسان طاهر .. »

كنت أعرف حساسية الرومان نحو الديانة المسيحية ... كانت هذه الأعوام الأولى : أعوام الشك وعدم الارتياح . بعدها جاءت أعوام الكراهية والاضطهاد والإبادة .. ثم جاءت أعوام التوافق ..

سألتني وهي تعبث في شعرها :

ـ « هل تعرف لماذا يكره أمي ؟ »

ـ « لا أعرف .. »

لكني كنت أعرف طبعًا .. السبب هو أن هيرودوس تزوج زوجة أخيه .. لم يقبل يوحنا الصارم هذه الزيجة واعتبرها غير شرعية .. لم يكن ممن يكتمون رأيهم بحال .. لهذا ألقى به هيرود في السجن ..

كنت أشك في أمر الأم هيروديا ..

لسبب ما كنت أشعر عندما أتعامل معها بالسواد .. هناك بحور من اللون الأسود تحيط بها .. شعرها أسود .. ثيابها سوداء .. عيناها سوداوان .. أفكارها سوداء .. كلماتها سوداء ...

خطر لي عدة مرات أن هذه المرأة بلا قلب على الإطلاق .. كانت قادرة على ذبح طفل دون أن تطرف عينها ..

زوجها كان مجرد إمبراطور روماني بدين أبله قليلاً .. رجل شهواني بسيط ولو أتيح له ما يكفي من الخمر والنساء والدجاج المحمر فلن يؤذي قطة .. أما هي فبدا أنها تشعر بظمأ شديد للسلطة والدم ..

هنا خطر لي خاطر مرعب ..

هل لهذه المرأة علاقة بهذا الشيء الذي أراه في كوابيسي ؟

كنت أعرف إن الإجابة نعم .. كل خلية في جسدي تقول أن نعم ..

وقررت التحقق ..

كان من السهل أن أتسلل إلى مخدعها وهي في حديقة القصر . رحت أفتش هنا وهناك ..

في النهاية وجدت ما أريد تحت حشية الفراش .. هذه الرقائق المصنوعة من البردي . لا أعرف هذه اللغة لكني أعرف أنه الكتاب الذي كنت أراه في أحلامي ...

فررت من الغرفة قبل أن يرانى أحد .. لكنى عنما أخلدت للنوم فى تلك الليلة ظللت أرى ذلك الشىء الأسود .. ورأيت قرد بابون شديد الشراسة .. كان يكرر :

ـ « لا تلمس كتاب الأسرار .. لا تلمس كتاب الأسرار ... »

تحوت .. تحوت ..

فى الصباح بحثت فى المخطوطات التى عندى فعرفت من هو تحوت .. وما هو كتاب الأسرار هذا .. إن زوجة هيرودس أخطر مما ظننت ..

* * *

سالومى ترقص وتطوح بالأثواب السبعة فى الهواء . الحقيقة أنها صارت أربعة أثواب الآن .. يبدو أن هذا أول عرض ستربتيز فى التاريخ ..

الموضوع أن هذا هو عيد ميلاد هيرود أنتيباس ..

لم تكن هناك شموع ولا حفل مفاجآت ولا (هابى بيرث داى تو يو) ..

الأمر كان أبسط من هذا لأن هؤلاء الأباطرة الرومان قليلو المطالب فعلاً . لقد اقترحت زوجته أن ترقص ابنتها الحسناء عارية له ولضيوفه .. وقد وافق فى حماس ..

لم أكن مهتمًا بالمشاهدة لكنى لم أستطع الفرار ..

هكذا وقفت وسط رجال الحاشية أراقب تلميذتى الحسناء صغيرة السن وهى ترقص .. ترقص فتخلب لب الموجودين جميعًا ..

ضربات الدف .. أوتار الهارب .. النفير .. مطربة تغنى بصوت شجى ..

تقلب شعرها ذات اليمين وذات اليسار .. تنهض .. تطوح الأثواب السبعة .. تركض كأنها مذعورة ثم تركع متوسلة ثم تتقلب على الأرض ثم تنهض من جديد ..

الحقيقة .. إحم ... أعترف أنها كانت . إحم .. كانت رائعة ..

فجأة هب هيرود واقفًا وصاح :

ـ « سمع هس س س ! »

أو ما يشبه هذا المعنى فى اللاتينية ..

ثم قال لها وهو يرتجف شهوة :

ــ « أى شىء تطلبينه الآن سوف أنفذه .. هيا .. »

فكرت قليلاً .. بللت إصبعها بين شفتيها .. كانت تلهث من مجهود الرقص وصدرها يعلو ويهبط .. ثم قالت كأنها تفكر ، وكأنها لم تتخذ هذا القرار منذ أيام :

ــ « أريد .. أريد رأس يوحنا المعمدان على طبق ! »

هنا فهمت كل شىء ..

أمها .. أمها الشيطان الرجيم . هى التى قامت بترتيب هذا السيناريو . تعرف أن زوجها وهو مفيق وعاقل لن ينفذ هذا الطلب أبدًا .. لذا اتفقت مع ابنتها على هذه الرقصة ..

كان هيرود مترددًا .. لا يريد أن يعطى هذا الأمر ..

ثم بعد تفكير صاح :

ــ « ليكن !! »

وأصدر أمره للسياف .. فانطلق نحو أقبية السجن تحت القصر ..

قطع الرقاب سريع جدًا هنا كما يبدو ..

بعد أربع دقائق بالضبط عاد السياف بصينية كبيرة عليها رأس يوحنا المعمدان ..

وضعوا الصينية فى وسط المكان ومن جديد عادت الموسيقا تعزف وعادت سالومى ترقص .. هذا المشهد الخالد فى الفن والأدب ..

كنت أنا أبتعد فى ذات اللحظة ... الكل مشغول بالرقصة فلا يرانى أحد ..

هرعت إلى مخدع الزوجة هيروديا ، فسرقت ذلك الكتاب اللعين ..

أخفيته بين طيات ثيابى .. ثم أخفيته فى الكهف كما قلت لك ، وهى خطة رسمتها من قبل ..

عندما عدت كانت رقصة سالومى مستمرة .. لكن لم يعد هناك سوى ثوب واحد ... وكان الجالسون قد غابوا فى حالة من الانتشاء تهدد حياتهم ذاتها . هى نفسها كانت تترنح من الإرهاق ..

يبدو أنها رقصت طيلة غيابى ولم تتوقف ...

وكان الرأس المقطوع قد كف عن النزف واسود الدم المحيط به ...

* * *

عندما عدت إلى الغرفة التى خصصها لى هيرود كنــ ..... .

صبرًا .. هذه الرائحة مميزة .. أنا أعرفها ...

هذا العطر المخدر الذى يتشرب لروحك ذاتها يوشك على أن يسممها كيميائيًا ..

هيروديا كانت هنا بلا شك .. أشعر بذلك الكيان الأسود فى كل مكان .. لقد خمنت أننى سارق الكتاب وبحثت عنه فى غرفتى ..

لكن معنى هذا أن حياتى فى خطر .. بل تجاوزت مرحلة الخطر ..

هرعت لباب الحجرة الذى يقود لسرداب متعرج يفضى للخارج . فوجئت بعبد أسود يمسك بنمر مربوط بالسلاسل . نمر مقيد لكنه متحفز غاضب يسد علىّ الطريق ...

ورأيت هيروديا واقفة تنظر لى ..

الواقع أنها لم تبد أقرب للشيطان من هذه اللحظة ..

كانت نظراتها النارية تخترقنى وتسحقنى .. تشق طريقها عبر أنسجتى ..

كان لها صوت أسود .. صوت غريب ببرى تتمنى لو سمعت المزيد منه ، غير أنى لم أسمعه من قبل . عرفت أنه هكذا يتكلم الشيطان ..

قالت فى ثبات وصدى صوتها يتردد فى السرداب :

ـ « الآن ... أين مخطوطة المعظم ثلاث مرات ؟ »

لم أرد .. وعرفت أنه لا جدوى من الزعم أننى لا أعرف .. وأننى لم آخذها .. إلى آخر هذا الهراء .. لن تصدق حرفًا ...

قالت :

ـ « هلم .. لا تطـل عذابك .. لو قلت لى فلســوف يمزقك النمر هنا والآن .. لو لم تقل فلسوف تموت موتًا عبر أشهر ممتدات .. »

لم أرد ...

قالت :

ـ « ليس عبـر أشهر ممتدات ، بل عبـر الأبدية ذاتها .. انتقامى سوف يمتد عدة قرون .. ربما إلى يوم الدين .. ستكون حربًا بينى وبين ذكراك وأحفادك وأحفاد أحفادك .. هلم .. تكلم »

كنت أعرف أن عذابها شديد وأنها بالفعل قادرة على انتزاع الكلمات منى ..

قلت شيئًا لا أعرفه أنا نفسى ، وقبل أن تقول شيئًا آخر ركضت والتحمت بالنمر . الكائن العملاق المكسو بالفراء الذى تفوح منه رائحة حيوانية خانقة ، والذى توترت عضلاته رغبة فى تمزيقى ، ولم يفهم ولم يتوقع تصرفًا أحمق كهذا ...

حاول العبد أن يبعد النمر عنى لكن الوحش كان يعرف أفضل .. جثم فوقى وغرس أنيابه فى أوردة العنق وهو يزأر ..

سمعت هيروديا تصيح فى ذهول :

ــ « أبعد النمر عنه .. أوقفه !.. أوقفه أو أقطع رأسك ! »

لكن النمر كان قد وجد الوريد .. وشممت رائحة الدم .. وساد ظلام متزايد ، الحياة تفلت منى مع الدم . ومن حسن الحظ أننى لا أرى ..

لكنى كنت سعيدًا .. فقد فررت بسرى .... .

كتاب الأسرار فى أمان .. أو ضاع للأبد ...

* * *

قال كراولى وهو يرمقنى فى ثبات عبر إضاءة الغرفة الخافتة :

ــ « هكذا بدأ ذلك السباق المجنون الذى دام عدة قرون .. »

لقد أفادنى فى نقطة مهمة هى أننى عرفت لماذا يلاحقنى لوسيفر .. فى الحقيقة هو لا يلاحقنى بل يلاحق نسل سمعان الناسك عبر الأجيال والمسافات .. يعتقد أن أحدهم يعرف موضع الكتاب ..

كانت الشمعة تتراقص .. وعلى صلعته اللامعة بالعرق ارتسم انعكاس لها . ثم رفع يده المزدانة بالخواتم .. بعض الخواتم على شكل نجمة خماسية ، وقال :

ــ « أنت تعرف من هو لوسيفر .. حامل الضياء .. كوكب الزهرة .. ثم ظهر الاسم فى التوراة على سبيل التقريع لملك بابل الذى كان شديد الغرور والخيلاء .. الخيلاء التى تقود صاحبها للسقوط .. إبليس وصف نفسه بأنه سيد الصباح المنير .. وكان بهذا يجمع بين الخطيئة والغرور والتبجح .. »

بللت شفتى بلسانى وقلت :

ــ « هل تريد قول إن لوسيفر هو الشيطان ؟ »

ــ « ليس الشيطان بل هو أكبر أبنائه وأقربهم له .. »

ثم مد يده فى جيبه فأخرج قارورة صغيرة .. صب منها قطرات من سائل أحمر قان فى طبق صغير ، ثم وضعه على الأرض ..

أصدر القط الأسود على حجرى عواء قصيرًا ثم وثب ليلتهم ما فى الطبق .. لا أعرف ما هو فى الضوء الخافت لكنه قد يكون أى شىء . لو كان يلتهم طحالى نفسه فلن أعرف ...

قال كراولى وهو يداعب ظهر القط :

ــ « جد جد جدك أخفى كتاب تحوت .. كان هذا خطأً قاتلاً لأن الكتاب مفخرة لوسيفر وقرة عينه .. وهو لم يغفر لك ولا أجدادك أنهم استلبوه هذا الكتاب عظيم الأهمية ، وهذا جعله مهانًا وسط قومه .. واهتزت مرتبته فى جانب النجوم ... هل تعرف جانب النجوم ؟ »

قلت راجفًا :

ــ « بالطبع .. كنت هناك ! »

اتسعت عيناه .. إما هـو منبهر أو لا يصـدق . عندما تقابل كراولى نفسـه وتقـول إنك كنت فى جانب النجوم وتتوقع أن

يصدق فأنت ساذج فعلاً .. هذا رجل اعتاد أن الناس كاذبون نصابون زناة فاسقون .. لا يراهم فى أى ضوء آخر ..

واصل كراولى الكلام باعتبارى مخبولاً أو كذابًا :

ــ « الآن أنت تعرف أين وضع جدك الكتاب .. بوسعك أن تسترجعه.. »

ــ « بهذه البساطة ؟ »

بالطبع لا أذكر موضع هذا المعبد ولا شكله .. أذكر الجليل .. اذكر اسم سيجان .. شاكات ... أذكر ثلاث خطوات داخل المعبد وجدار على اليسار ..

حتى لو كـان جعلنى أعيش التجـربة من جديد فهذا لا يعنى أن بوسعى أن أجد معبدًا مهدمًا فى الجليل منذ عصر هيرود أنتيباس .. وهنا يأتى سؤال مهم يجعلنى أرتجف رعبًا :

ــ « أنت كنت تبحث عن هذا الكتاب .. أليس كذلك ؟ »

قال ضاحكًا بطريقة جعلت أسنانه كالأنياب :

ـ « بلى .. قطعًا .. كتاب تحوت بالغ الأهمية لنا .. كنا نستعين بالهرميتات . وهى محاولة قاصرة للوصول إلى بلاغة كتاب تحوت . كنا نحتفل بتحوت فى اليوم التاسع عشر من شهر توت ، فيما يعرف بـ (سبت السحرة العظيم great Sabbath) .. لقد مت وأنا أبحث عن كتاب تحوت هذا .. »

هذا يثير التوجس ... إذن هو قادر على أن يجد الكتاب .. ينتزع أسراره منى . أنا لا أعرف مكانه لكنه سيعذبنى إلى أن يتأكد من أننى لا أستطيع الحصول عليه ..

قال كراولى :

ـ « أعرف ما تفكر فيه .. تنسى أننى لست حيًا أمامك .. أنا مجرد طيف شبحى . لقد انتهت أيامى الأرضية ولم أعد أهتم بالبحث عن كتاب تحوت .. وكذلك أنا لا أرغب فى أن يجده واحد من بعدى حتى لو كان لوسيفر نفسه .. لهذا احتفظ بأسرارك لنفسك .. »

سألته فى قلق :

ـ « ماذا بعد هذا ؟ »

* * *

فيما بعد حكى لى سام كولبى مغامرته فى فلسطين :

كما اتفقنا ، كان على كولبى أن يذهب وحده للبحث عن الكتاب ...

أنا لا أستطيع الذهاب هناك لأن المنطقة تحت سيطرة الاحتلال الإسرائيلى اللعين ، لكنه مواطن أمريكى ويهودى وقادر على دخول البلاد ..

كان الكتاب هناك منذ دفنته ـ أو دفنه جدى الناسك سمعان ـ أثناء رقص سالومى .. دفنه فى عهد هيرود .. مع فجر المسيحية الأول .

كنت أذكر أشياء .. بعض أشياء لم أقلها .. مثلاً هو فى الجليل .. كانت هناك مدينة عربية فى قلب الجليل اسمها (سخنين) .. فى الماضى كان اسمها (سيجان) أو (بلد الوكلاء التجاريين) .. قرية رومانية قديمة صارت حفائر اليوم . إنها منطقة أثرية مهمة ..

* * *

عندما غادر كولبى الفندق الصغير أعطاه موظف الفندق العربى مطوية تشرح بعض التفاصيل عن سخنين ..

كان يعرف أنها قريبة جدًا من عكا ، وأنها مرتفعة عن سطح البحر .. لعل هذا يفسر تلاحق أنفاسه والإرهاق الذى يشعر به . التعداد خمسة وعشرون ألف مواطن معظمهم عرب .. عمر المدينة خمسة وثلاثون قرنًا !

هناك موقع أثرى يضم خربة شقات وخربة المرجم .. لم يبق فيهما سوى مدافن منسية ونواويس ..

قال له موظف الفندق :

ـ « هناك مساجد قديمة رائعة فى هذه البلدة .. مسجد العمرى ومسجد الرويس وأبى بكر الصديق .. كما أن لدينا كنيسة مار جرجس للأرثودوكس .. وكنيسة مار يوسف للكاثوليك .. »

هذه أرض الرسالات فعلاً .. فى كل خطوة تقابل أثرًا دينيًا مهمًا أو ذكر موضع جاء فى التوراة أو القرآن .. لكنه لم يكن مسرورًا لأن إسرائيل استولت على كل هذا ، برغم أنه يهودى .. هكذا قال لى ولعله يكذب ..

قال كولبى وهو يتأكد من أن الكاميرا معه :

ـ « سوف أزور أولاً خربة شقات .. »

السبب طبعًا هو أننى ذكرت له هذا الاسم ..

لا أذكر تفاصيل أخرى ..

فقط أذكر الجليل .. أذكر خربة شقات .. أذكر ثلاث خطوات داخل المعبد وجدار على اليسار .. جدار عليه نقوش بالية باهتة ، لكن هناك علامة * صغيرة .. على الأرجح لن تكون موجودة اليوم بعد كل هذا الزمن .. لكنه يأمل فى الحدس والحظ الحسن ..

هكذا مشى فى الطريق ينعم بجمال الطبيعة ...

الجليل أجمل جزء فى فلسطين فعلاً ، بكل ما فيه من أنهار وغابات وأشجار .. هذا فصل صيف ، لكن فى الشتاء تضيف الثلوج سحرًا آخر للمكان ..

كانت سيارات الدوريات الإسرائيلية تحوم من بعيد .. هناك لمسات كثيرة تذكره بأنه ليس فى بلد عربى بل هو فى إسرائيل . لكن ملامحه الغربية كانت تجعل الأمور سهلة عليه هنا .. لا أحد يرتاب فيه .. ثم إن ملامحه الطفولية الدقيقة كانت تقتل أى شك . إنه أقرب لدمية كبيرة مكتنزة .

* * *

بصعوبة وفى ضوء الشمس الحارقة توغل كولبى وسط الخرائب ..

سره أنه لا يوجد فضوليون ولا رجال شرطة يطلبون هويتك . هذه منطقة أثرية لكنها لا تعامل مثل المناطق الأثرية فى مصر مثلاً ، وتقريبًا لا يزورها أحد ..

مشى وسط الأحجار وبقايا المبانى يتعثر وينهض ..

كنت قد وصفت له المعبد الذى أعتقد أن جدى استخدمه . إنه على اليمين وقد تهاوت معظم أجزاؤه ، لكنه ظل محتفظًا ببعض

الجدران وبعض التماثيل التى صار من العسير معرفة من كانت تمثل ..

مشى وسط الصخور ..

أخيرًا بلغ مدخل المعبد .. لابد أن المشهد فى الماضى كان غاية فى الفخامة والهيبة ، لكنه اليوم مثير للشفقة فعلاً .. صعد درجة ثم درجتين ..

مشى داخل المعبد الذى لا سقف له . ربما يبدو المشهد مثل الكرنك فى مصر نوعًا لكن مع فارق الحجم الهائل طبعًا .. كانت البروستاتا الآن تعلن عن نفسها من جديد برغم أنه حرص على ألا يشرب أى سوائل منذ الصباح .. لابد من أن ....

أخيرًا لم يتحمل أكثر فهرع يفتح أزرار سرواله وأفرغ مثانته جوار جدار ...

عندما انتهى راح يتفقد الجدار على اليسار .. مد يده فى الحقيبة وأخرج مطرقة صغيرة ..

لو رآه رجل شرطة فلسوف تكون مشكلة حقيقية .. لابد أن تهمة إتلاف الآثار كارثية ..

ثلاث خطوات .. ثلاث خطوات ..

يسمع صوت الموسيقا التى كانت ترقص عليها سالومى .. يسمع ضحكات هيروديا .. يسمع صوت الصرخة القصيرة ، بينما السيف يهوى على عنق يوحنا المعمدان ...

يتأمل الجدار ...

منذ صباه يرتجف كلما رأى جدارًا قديمًا وخطر له هؤلاء الذين وقفوا أمامه منذ تشييده .. الذى بنى الجدار .. هل كان يعرف أن هناك من سيقف أمامه بعد ثلاثين قرنًا يتأمله ؟

هنا تصلبت عيناه على حفر صغير .. صغير بحجم كف طفل رضيع ، وهذا الحفر يرسم صورة نجمة كهذه * أو ما يطلقون عليه Asterisk .. لا يمكن أن تكون صدفة أبدًا ...

نظر حوله فى حذر .. تخيل أن الجيش الإسرائيلى كله يقف وراءه الآن ..

أخرج المطرقة الصغيرة وبدأ يدق على الجدار .. يدق ..

أدرك بسهولة أن هذا الملاط أضعف من باقى الجدار . يدا سمعان الناسك لم تكونا بارعتين جدًا ..

المزيد من الضربات .. بالفعل يتهاوى جزء .. جزء آخر ..

ينظر حوله فى توجس ..

هل يتخيل أم إن الشمس قد توارت وراء غمامة كثيفة ؟.. بالفعل صار المعبد معتمًا بشكل غريب .. كان ساحرًا وأعصابه قوية نوعًا لذا تماسك .. لو كان واحدًا آخر لفر هلعًا ..

الهواء يبرد .. يبرد ...

الآن يرى فجوة .. والفجوة يستقر فيها شىء خشبى ..

مد يده لينزع الخشب لكنه كان قد تحول إلى بسكويت هش .. يذوب فعلاً تحت لمساته .. لا جدوى من إخراجه إلا بتوسيع الفتحة ، وهذا يعنى إتلاف الجدار أكثر . هنا وجد أن الخشب يحوى لفافة .. كتان .. كل ما وصفه رفعت دقيق فعلاً ..

مد أنامله وانتزع اللفافة .. وأدرك من التمزقات فيها أنها تحيط بأوراق بردى ..

إذن هذا هو كتاب تحوت .. هذا هو كتاب الأسرار . من الغريب أنه لم يتفحم عندما أمسك به . إن لهذا الكتاب سمعة سيئة وهيبة حقيقية تحيط به ..

هنا شعر بألم عنيف ألقى به على الأرض وسط الأحجار .. كان الكتاب فى يده فعلاً .. لكن الدم كان يتدفق بحرارة من ثقب فى ظهر اليد .. عندما دقق النظر أدرك أنهما ثقبان ..

عنـدما دقق النظـر أكثـر رأى أن هناك ما يطل عليه من الفتحة ...

الفصل السادس

رفعت إسماعيل

الصمت من جديد ..

الظلام فيما عدا الشموع التى يترقرق وهجها ..

القط عاد ليجلس على حجرى ويقر ، بينما الجمجمة اللعينة تحملق عبر الغرفة .. هناك صوت لهاث فى مكان ما ، وهناك من يسعل لا أعرف أين ..

كراولى جالس يشعل السيجار من جديد .. يسعل .. ثم يواصل الكلام :

ـ « الثليما .. المبـدأ الذى لقننى إيـاه ذلك الكائن الغريب (عيواس) فى القاهرة .. هذه الفلسفة نشأت من كتاب تحوت .. إنها تحوى الكثير من أفكار اليوجا والقبالة .. »

أنت وتلك الثليما اللعينة ..!.. كدت أقولها له .. عندما أجلس فى الظلام مع كراولى اللعين الشرير فأنا أتوقع أى شىء سوى التكرار الممل . ليس سيد الشماشرجى الذى يحكى لى نفس الدعابة خمسين مرة ونحن جالسان على مقهى (الأمراء) .. عندما تتعامل مع الوحش فمن الواجب أن تستفيد بشىء ما .. نوع من التجديد ..

قلت له فى كياسة مقاطعًا :

ـ « كيف عثر على لوسيفر ؟.. أعنى فى صورتى الحالية ؟ »

قال كراولى :

ـ « هذه قصة بسيطة نوعًا .. »

* * *

كنت الآن أرى ذلك الحفل فى نيويورك ..

اجتماع السحرة فى اليوم التاسع عشر من شهر توت ، فيما يعرف بـ (سبت السحرة العظيم great Sabbath) ..

كان لوسيفر هناك ..

هذه المرة كان يلبس ثيابًا سوداء أنيقة ، وقد حلى صدره بعدة قلادات وحلى أصابعه بعدة خواتم .. وكان يظهر فى كل محافل السحرة .. ظهر مع رجال الويكا وظهر فى كنيسة الشيطان مع أنطون لافى .. ظهر فى محافل تحضير الأرواح ، وجلس مع المعالجين النفسيين ..

كان يزعم أنه من المجر ، وكان شخصية قوية متألقة ..

هل تعرف الفلاش الساطع الذى يضيء فى وجهك للحظة ، ثم تبتعد أنت لكنه يظل متوهجًا كأنها بقعة احترقت فى الشبكية ؟.. كان هذا هو تأثير لوسيفر ..

ثم الصوت ... لا تنس الصوت !

هذا الصوت البيرى المؤثر الذى يذكرك بنمر شبعان يسترخى تحت شجرة فى سيلان .. لابد أن تسمع منه المزيد ..

أما عن طريقته المعقدة نوعًا فى اختيار الكلمات فكانت ساحرة بدورها ، وهكذا صار له جمهور لا بأس به .. بدا لهم يعرف أكثر مما يقول ، والحقيقة أن هذا كان صحيحًا .. صحيحًا إلى حد مروع ..

بالنسبة لاسمه الغريب ، فهو لم يكن غريبًا فى وسط السحرة ... حيث ستجد د. موت . ود. حانوتى ونوسفيراتو ومستر لا أحد .. الخ ...

كان هذا هو الوقت الذى ذهبت أنا فيه إلى نيويورك وقابلت سام كولبى ..

لوسيفر كان هناك فى ذلك الحفل .. هل تذكر ؟

طلب الانفراد بكولبى .. فدخل عليه هذا الأخير فى وجل ، ونحن نعرف أن كولبى أحمق وساذج ومنبهر طيلة الوقت .. ليس ساحرًا بارعًا لكنه يعرف الكثير من السحرة ، وهكذا صار خبيرًا .. كأنه طباخ رديء قضى حياته وسط الطباخين ، وهكذا عرف أشياء كثيرة عن الطبخ ..

تساءل كولبى عن سبب استدعائه من الرجل الظاهرة ..

كانت عينا لوسيفر الحادتان مسلطتين على عينى كولبى . وقال بصوته المميز :

ـ « أى كولبى .. قد نما إلى علمى أن صديقًا مصريًا لك هنا فى نيويورك ، وإننى لراغب أشد الرغبة فى أن تقدمه لى .. »

تساءل كولبى فى جزع :

ـ « هل من سبب يا سيدى ؟.. إنه خبير بعوالم الماورائيات كمشاهد فقط .. لا يمارس السحر ولا يعرفه .. »

بثبات قال لوسيفر :

ـ « أريد أن أقابله .. أريد أن يرى طريقتى فى قراءة التاروت .. »

هذا كان أمرًا لا يقدر لوسيفر على رفضه ..

هكذا انحنى فى احترام وغادر المكان ..

كانت هذه هى بداية علاقتى بدكتور لوسيفر وعرض التاروت الذى قدمه لى .. ومنذ ذلك الحين صارت بيننا علاقة دائمة بلغت ذروتها عندما وجدت نفسى فى جانب النجوم ..

هنا نلاحظ شيئًا مهمًا ..

لوسيفر يستمتع باللعب معى .. لا يريد القضاء على فورًا بل هو يشعر أن الحياة من دونى مملة قاسية ، لهذا يطبق على حتى يوشك على ابتلاعى ثم يتركنى فى كل مرة ..

كانت هناك قصة لم أحكها قام فيها بإنقاذ حياتى ، بينما كنت فى قبضة الشيطان أبراكساس(*).. لكن الوقت يضيق ..

يعرف أن الحظ لن يواتيه للأبد ..

يعرف أن أجلى قد دنا ..

ولو مت لانتهت فرصته فى معرفة السر .. أعتقد أنه يريد إنهاء القصة حالاً .

(*) هذه القصة تم إعدادها فى صورة خليط من الستريبس والسرد العادى (الذى أطلقت عليه اسم روايتكس) ورسمها الفنان بلسم صلاح ، لكنها لم تطبع قط ..

نظر كولبى إلى يده التى ينز منها الدم من ثقبين ..

لا توجد أشياء كثيرة يمكن أن تحدث هذا الجرح ..

عندما نظر للفتحة رأى رأس الأفعى ينظر له من فوق . الجسد ذاته يطل من الفتحة ثم ينحدر ببطء ليهبط له .. هذه الأفاعى تجيد الزحف حقًا .. تستغل النتوءات فى الجدار لتهبط برشاقة كأنها ماء ينساب ..

وأدرك فى رعب أن طولها لا يقل عن متر ..

هل هى أفعى عادية ؟.. ماذا تفعله أفعى عادية داخل جدار ؟..

الاحتمال الأقرب أنها أفعى حارسة .. هذا يبدو مفهومًا ومنطقيًا ..

كان الكتاب معه الآن فى لفائف الكتان المغبر كريه الرائحة .. وضعه فى الحقيبة الصغيرة وهو لا يبعد عينه عن الأفعى ...

كانت تزحف نحو قدمه ...

تراجع للخلف ببطء ... احترس وإلا تعثرت كما يحدث لكل المتراجعين للخلف دون أن ...

ينظروا !

بالفعل هـذه أفعى حارسـة ... الدليل هو أن ثلاث أفاع تسد طريق التراجع أمامه الآن .. أفاع مقرنة مخيفة لها طابع شرقى جدًا .. لابد أنها من طراز أفاعى كليوباترا وسالومى وسواها .. ربما كانت فى قصة شمشون بشكل ما ..

لم يكن يعرف طبعًا أنها حية الطريشة .. من أخطر أنواع الأفاعى فى العالم ..

لكنه كان يحاول جاهدًا تذكر .. هل هذا النوع من الأفاعى يثب فى الهواء ؟.. مصيبة لو كانت تثب لأن هذا يجعل الأمر بالغ التعقيد ...

كأن الأفعى قررت أن تجيب عن السؤال ، التفت حول نفسها ثم وثبت فى الهواء وعلى ارتفاع عال جدًا قاصدة وجهه .. كأنها زنبرك ... حمى وجهه بالحقيبة وتراجع بينما ارتطمت بها ، ثم سقطت على بعد متر منه .. سوف تستغرق عشر ثوان لتفيق ثم تهجم من جديد ...

إن كولبى ساحر ويعرف بعض الكلمات القادرة على أن تبعد الأفاعى :

ـ « حفاو أى باباو ... حفاو أى باباو .. »

كما كان قدماء المصريين يقولون ، لكن أفعى أخرى وثبت نحوه مما جعله يدرك أن هذه الأفاعى لا تجيد حرفًا من اللغة الديموطيقية ...

تبًا لك من أفاع غبية جاهلة ...

أريد دخـول الحمـام .. رباه أريد دخـول الحمام .. رباه .. البروستاتا سوف تقتلنى ..

كان يتراجع .. وقد أيقن أنه على الأرجح سيتعثر .. لو تعثر لانقضت عليه ثلاث أفاع أخرى ..

الدم يسيل بلا توقف من يده .. لا شك أن هذا السم يحوى مادة تسبب التجلط ...

ـ « حفاو أى باباو ... حفاو أى باباو .. »

حدث ما توقعه بالفعل وهوى على الأرض جوار حجر بارز ، لعل جنديًا رومانيًا وضعه هنا منذ عشرين قرنًا ليجلس عليه أو ليربط صندله ..

وأدرك أن أمره انتهى ...

لكنه رأى النصل يطير فى الهواء ..

رأى عنق أفعى يطير .. ثم عنقًا آخر فثالثًا ....

عندما استطاع أن يستوعب ، رأى شابًا أسمر من الواضح أنه فلسطينى ، وهو يحمل شيئًا شبيهًا بالسيف يهوى به على أعناق الأفاعى ... لماذا يحمل شاب فلسطينى طبيعى سيفًا ؟

أخيرًا لم تبق أفاع زاحفة ..

كان الشاب جالسًا على الأرض يشعل شيئًا ... يشعل مجموعة من الأوراق والأغصان حتى تصاعد الدخان مع اللهب ، وأدرك كولبى أن الشاب يضع نصل السيف فى جذوة النار ..

كان قد بدأ يرتجف والعرق يحتشد على جبينه مع رغبة فى القىء ..

ومن سرواله سالت بركـــة من البول .. هى البروستاتا كما تعلمون ...

الرؤية تهتز ....

قال الشاب بالإنجليزية وهو يرفع ذبابة السيف التى صارت حمراء كالفحم المتوقد :

ـ « الآن تحمّلنى .. لا حل لأفعى الطريشة سوى أن نكوى موضع اللدغة .. إن سمها يقتل خلال نصف ساعة .. سيكون هذا مؤلمًا .. »

ضغط كولبى على شفتيه .. وسمع صوت فش ش ش ش ش !

ثم من جديد قال الفتى :

ـ « اصبر .. »

فش ش ش ش ش !

هذا ألم عبقرى .. ألم جدير ببرومثيوس عندما كان النسر يمزق كبده .. تبًّاااااا !..

ثم مزق الفتى طرفى قميصه كما يفعلون فى السينما وصنع ضمادة تمنع صعود الدم للقلب ..

كان كولبى يشهق بلا توقف فقال الشاب :

ـ « تماسك .. اسمى غسان .. أنا عربى .. »

ـ « عرفت هذا طبعًا ... »

ـ « وأنت دخلت فى تسمم .. »

لا يعرف كولبى متى وجد نفسه بين ذراعى الفتى القويتين ، وهـو يركض به خارجًا مـن المعبد .. خارجًا من خربة شقات كلهـا ..

كان يغيب عن الوعى تمامًا ..

كان يغوص فى الغيبوبة ببطء ...

كان يهتز وهو يقبض بعنف على الحقيبة ..

* * *

شعر بمستشفى .. شعر بأنه على محفـة .. سمع من يتكلم بالعربية والعبرية .. رأى كشافات الممرات تركض من فوقه .. هناك قسطرة تدخل مجرى البول . أتعبهم كثيرًا بسبب البروستاتا لكنها دخلت .. وهكذا تخلص للأبد من تلك الرغبة القاتلة الملحة فى التبول ..

شعر بإبرة تنغرس فى ذراعه ...

لكنه لم يتخل عن الحقيبة قط وهو فوق المحفة ....

كانت هناك مدينة عربية فى قلب الجليل اسمها (سخنين) .. فى الماضى كان اسمها (سيجان) أو (بلد الوكلاء التجاريين) .. قرية رومانية قديمة صارت حفائر اليوم . إنها منطقة أثرية مهمة ..

وعندما استطاع أن يتكلم سأل عن غسان ..

لم يعرف أحد عن أى شىء يتكلم .. لم يفهم أحد من هو غسان ..

فقط عرفوا أنه نجا بمعجزة مـن لدغـة حيـة مقرنة شنيعة هاجمته فى الخرائب ..

أما هو فلم يندهش كثيرًا . الأفاعى كانت تحمى الكتاب .. وغسان ظهر كى ينقذه من الأفاعى ويسمح له أن يرحل بالكتاب .. من أين جاءت الأفاعى ومن أين جاء غسان ذو السيف ؟

كلاهما جاء من وراء الحاجز السرمدى ....

أى حاجز ؟

لقد نسى ما كان يريد قوله ...

ســاد الصمت .

لم يكن هناك من صوت سوى تردد الأنفاس فى الظلام .. سوى دقات قلبى .. سوى محرك الساعة ..

لم يكن هناك ما يقال بعد هذا ، فقد جاب بى كراولى رحلة قاسية عبر الأزمان والآباد ، وكنت منهكًا فعلاً ..

يبدو أننى عشت عدة عصور خلال هذه الدقائق ..

كما قلت كان الظلام دامسًا والصمت خانقًا ..

هنا بدأ من جديد ذلك التأثير البصرى الخافت .. عندما تراقب بقعة فى طلاء الجدار ، وفجأة تدرك أنها ليست بقعة بل هى برص يقــف متجمدًا . عنــدما تراقب صخرة فى الظلام ترى حدودها ثم تدرك أن شيئًا ما يوجد فوق هذه الصخرة ..

الآن بدأت ببطء أدرك أن هذه هى غرفة مكتبى ..

بعد قليل بدأت أتبين حدود المكان .. رأيت الجمجمة والشموع .. رأيت مكتبى وكتبى .. رأيت المقعد الذى فقد ثلاثة مسامير والذى يصلح لتحطيم ظهــر مــن لم يعتد عليه .. رأيت السجادة التى لوثتها بقعة شاى عملاقة ..

رأيت على أرض الغرفــة تلك النجمــة الخماسية اللعينــة بالطبشور وحولها قطرات دم . لقــد تلاشى عالم كراولى وكتبه وكل الأقنعة القبيحة التى علقها على الجدران ..

تلاشى وجوده الثقيل المقزز ...

لكن كولبى لم يكن معى فى الغرفة ....

لقد انتهت الرؤيا أو التجربة لا أعرف بالضبط ..

* * *

عندما غادرت الغرفة على قدمين من عجين ، وعندما وقفت فى الصالة الفارغة المضاءة بضوء خافت ، وعندما رأيت كولبى على الأرض ..

أدركت وقتها أن التجربة كانت قاسية عليه ..

يبــدو أنه كــان على وشك مغادرة البيت لأنه فتحه وأزاح الرتاج .. لكنه لم يستطع الصمود أكثر وتخلت عنه قدماه . كما قلت فإن كولبى لا يكف عن لعب دور الأحمق إلا لو فقد الوعى .

ساعدته على الرقاد فى الفراش .. كنت متعبًا مثله وأكثر لكنى قادر على العناية به ..

بدأت يدى تنزف من جديد .. ولوث الدم ثيابه ..

عندما فتح عينيه أخيرًا قال وهو يرتجف :

ــ « هل عرفت ؟ »

سقيته بعض العصير وقلت :

ــ « تقريبًا .. لكن من الصعب أن أعود لذات الموضع ثانية .. »

قال وهو يحاول النهوض :

ــ « الحمام .. البروستاتا كما تعلم .. »

يا لك من طفل !.. من الصعب أن أحملك للحمام ومن الأصعب ــ لو أردت رأيى ــ أن أحضر لك الحمام . لكن .. لحظة .. من السهل فعلاً أن أحضر لك الحمام لأن عندى مبولة

فراش من التى يستخدمونها فى المستشفيات .. لا تنس أننى طبيب ..

لما أفرغ مثانته عاد يتنفس بانتظام .. وقال لى :

ــ « كيف كانت التجربة ؟ »

ــ « عجيبة جدًا .. رهيبة جدًا .. مفيدة جدًا .. »

ثم حكيت له القصة كلها بينما هو متسع العينين يصغى .. فلما انتهيت ضحك كثيرًا وقال :

ــ « دائمًا هناك كتاب مفقود وأنت تعثر عليه .. نيكرونوميكون .. كتاب إينوخ .. كتاب الأسرار .. كتاب ديسان .. »

قلت فى عصبية :

ــ « لا علاقة لى بكتاب ديسان هذا .. »

ــ « هذا غريب .. على كل حال لاحظ أن كراولى كان يبحث عن معظم هذه الكتب . كان لديه كتاب إينوخ ، لكنه مات وهو يبحث عن كتاب الأسرار ونيكرونوميكون .. »

جففت العرق على جبينه وقلت :

ـ « على كل حال .. لوسيفر كان يملك هذا الكتاب وقد ضاع منه .. ضاع منه بسبب جدى .. منذ ذلك الزمن السحيق تتم المطاردة عبر الأجيال .. لكن أنا لا ذرية لى ، وأنا آخر فرع أسرتى .. معنى هذا أننى أمثل الفرصة الأخيرة لدى لوسيفر .. ومن المؤكد أنه سيفنينى لحظة استرداد الكتاب .. »

عاد كولبى يسألنى وعيناه تلمعان :

ـ « هل حقًّا لا تذكر أى تفاصيل ؟ »

سأجازف وأخبره بما أعرفه .. لا أعتبر الكتاب ملكى ولو سرقه هو فلا مشكلة عندى .. لذا قلت :

ـ « معلومات متضاربة .. ذكريات باهتة ... مؤكد أنه مخفى فى معبد قديم فى الجليل .. بلد الوكلاء .. شاكات .. فعلاً لا أعرف .. »

ـ « هذا قد يكون سر قوتك .. انت لا تعرف .. وهذا قد يبقيك حيًّا .. »

لما جلسنا بعد هذا ـ وقد لبس إحدى مناماتى لأنه سيقضى الليلة عندى ـ نراجع بعض دوائر المعارف فى مكتبتى ، بدأت أرى الاحتمالات بشكل أوضح ..

بلد الوكلاء اسمها (سيجان) .. حاليًّا اسمها (سخنين) ، وهى تقع تحت سلطة الاحتلال الإسرائيلى برغم أن معظم سكانها عرب .. فيها خرائب مهمة جدًّا اسمها شقات ..

راح كولبى يدون ما قلته وقد بدا عليه الاهتمام .. قرب المصباح من وجهه وراح يحاول تذكر المكتوب .. ويردده مرارًا ..

قال لى :

ـ « سوف أبدأ غدًا فى ترتيب أمورى للسفر .. سأقصد بلدًا أوروبيًّا ومن هناك أقصد إسرائيل .. أنت لن تستطيع الذهاب طبعًا .. »

قلت فى حيرة :

ـ « لا أدرى لماذا يجب أن يذهب أحد .. لماذا لا نترك الكتاب حيث هو ؟ »

حك رأسه فى توتر وقال :

ـ « لأن هناك من سيبحث عنه .. وسوف يجده .. بينما أرى أن عليك أن تحتفظ بهذا الكتاب حتى آخر لحظة فى حياتك .. هذا هو ضمان بقائك حيًا إلى أن تموت ميتة طبيعية .. »

ـ « من الذى سيبحث عنه غير لوسيفر ؟ »

نظر لى فى خطورة والتمعت نظرة فزع فى عينه :

ـ « كراولى مثــلاً .. ألم تفطــن إلى أنه تحــرر فى عصرنا هــذا ؟ »

* * *

كان الأمر بسيطًا جدًا ..

لقد فقد كولبى وعيه عندما انتهت التجربة فسقط فى الصالة ..

كان كيان كراولى الشيطانى معى .. ثم لم يعد موجودًا .. أنا وجدت الباب مفتوحًا فى الصالة وخطر لى أن كولبى كان يرغب فى الخروج ..

بالواقع لم يكن هذا صحيحًا ..

لقد فشل كولبى كالعادة فى إنهاء التجربة . قام باستدعاء الوحش الذى صار شيطانًا .. ثم لم يستطع أن يصرفه ..

النتيجة أن ألستر كراولى تصرف كالذئب الحبيس .. فتح الباب وانسل للخارج .. إن الوحش الآن حر طليق يجول فى القاهرة .. هذه هى الهدية التى قدمتها لأهل بلدى ولوطنى !

ـ « لا تقل لى إنه عاد للحياة ! »

ـ « بالطبع لا .. قلت لك إنه صار أقرب للشياطين .. عندما دخل بيتك كان شيطانًا وعندما غادره كان شيطانًا .. »

أمسكت بكولبى من ياقة المنامة ورحت أهزه فى غل كاشفًا عـن أنيابى ، وهو راح يهتز بلا أى جهد للمقاومة كأنه دمية فعـلاً :

ـ « إذن أنـت جلبـت الوحش للعالم .. ثم تركته !.. كأن مصيبة واحدة تكفينى فجلبت لى مصيبتين .. »

تذكرت ما يفعله الرفاعية أحيانًا . أنت تعرف أنهم متخصصون فى طرد الأفاعى ؛ لذا يزور الواحد منهم الزبون ، وهو يحمل أفعى فى كمه .. الغرض أن يبرزها للزبون زاعمًا أنها تلك الأفعى التى تسللت لداره ويأخذ الحلوان .. أحيانًا يكون أحدهم أحمق فتفلت منه الحية .. هكذا يرزق الزبون بحيتين بدلاً من واحدة !

يبدو أن لكولبى قريبًا من الرفاعية هؤلاء ..

لقـد هـرب ألسـتر كراولى . أشر إنسـان فى الكـون .. الوحش ...

ومن الواضح أنه يبحث عن نفس الكتاب .. لكنه لا يعرف أين هو حقًا .. يعرف بالتقريب ... أنا وكولبى أكثر من اقترب من الحقيقة ..

قال كولبى :

ـ « لهذا ترى أن علىّ أن أذهب إلى الجليل فورًا ... إن حياتك فى خطر .. »

حكيت لك عن مغامرة كولبى فى الجليل ، وكيف استطاع أن ينزع الكتاب من بين أنياب الأفاعى إن صح التعبير (وهو صحيح) ..

تلقى جرعات من الترياق المضاد لسم الأفعى ، وكاد يموت .. فيما بعـد قــال له الأطبــاء فى المستشفى أن كى الجرح أفاده حقًا ... ما كان ليصمد حتى يبلغ المستشفى ..

كان على يقين من ذلك .. الفتى غسان يعرف ما يقول وما يفعل حتمًا ..

وأخيرًا تعافى واستعد للسفر أو الفرار لو شئت الدقة ..

كان الكتاب معه فى لفائف البردى تلك .. وكان قلقًا بحق من أن تكتشف الحكومة الإسرائيلية أن الكتاب معه .. هذا معناه سرقة آثار ... أما الخطر الثانى فهو أن يجده أحد الباحثين عن الكتاب .. كراولى أو لوسيفر شخصيًا ..

وعندما ركب الطائرة المتجهة إلى بلجيكا شعر بالراحة ..

قال لى إنه فكر فيما بعد أن يسرق الكتاب ..

لكن لماذا يورط نفسه فى هذا ؟.. كل شياطين العالم فيما يبدو تريد هذه المخطوطة ، وهى تخص رفعت إسماعيل الأحمق .. إذن لماذا يفكر أحمق آخر فى أن يتولى هو هذه المسئولية ؟ لماذا يحمل هذا العبء ؟

هكذا عاد إلى مصر ..

وجاء الوقت الذى وجدت فيه الكتاب بين يدى فى شقتى ..

أوراق البردى غريبــة المنظــر والغــلاف الكتانى الممزق المهترئ والشعور الرهيب بأن هذا أثر منذ مئات السنين ...

شعور مخيف بالفعل ..

أعرف أكثر من واحد من المهتمين بالآثار سوف يريد بعنف أن يرى هذه البرديات .. من الصعب أن تصدق أن هذا هو كتاب تحوت الشهير الذى جاءت منه الهرميتات .. من أجل هذا الكتاب يحتفل سحرة العالم بيوم السبت العظيم ..

كـــان كولبى يجلس أمامى وقـــد فتح أزرار معطفه ، وقميص سترته غارق بالماء بعد دخول الحمام .. لقد قام برحلة شاقة من أجل هذا الكشف وكاد يفقد حياته ..

بالمناسبة هو قـــد فقـــد الإصبع الأوسط من يده اليمنى .. الغنغرينا فعلت ذلـــك .. إن ســـم الأفعى كـــان ذا تأثير وعائى قوى ، وهـــكذا فوجئ أطبـــاء المستشـــفى أن الإصبع صـــار أســـود بلا نبض .. واضـــطروا لبتـــره .. هـــذه المفاجآت الســـارة تحدث عادة مع لدغات العناكب السامة لكن الأفاعى ليست أكثر رحمة ..

قلت لكولبى وأنا أضع الكتاب فى كيس من البلاستيك :

ــ « سوف أضعه فى خزانة المصرف و ... »

هنا انفجر فى الضحك ... انفجر حتى لم أفهم ماذا دهاه ؟

قال لى وهو دامع العينين من فرط الضحك :

ــ « يبدو أنك لا تفهم حقًا حجم وقوة من تعمل ضدهم .. »

ــ « حسبت أننى أعـــرف .. كنت فى جانب النجوم و ... لوسيفر ليس عصيًا على الهزيمة .. »

ــ « هو ينهزم عندما يريد ذلك .. وثق أنه لا يريد ذلك هذه المرة .. سوف يبحث عنك بطريقة لا تخطئ أبدًا ... لاحظ أنك تعرف مكان الكتاب فعلاً اليوم .. بل هو فى يدك .. أى أن الخطر تضاعف بشكل فلكى .. »

حكى لى بعض أساليب لوسيفر فشعرت بالدم يتجمد فى عروقى .. يبدو أننى لا أعرف أى شىء عن لوسيفر بعد كل هذه الحياة ...

سألته :

ــ « ولماذا يحدث هذا الآن ؟ لوسيفر لم يظهر ولم يعط أى علامة .. »

ــ « احتشاده فى كوابيسك وكوابيسى هذه الأيام بالذات .. هذا مريب .. »

* * *

« أما ما حدث فى تلك الليلة فغريب .. لقد حلمت بك . كنت تركض فى مدينة خالية وتدق الأبواب الموصدة . لا أحد يفتح لك .. فى الوقت نفسه ينتشر ضباب كثيف ثقيل .. أنت مذعور .. ثم فجأة يظهر عبر المنعطف رجل فارع الطول يلبس الأسود .. أعرف أنه لوسيفر نفسه .. إنه يريد شيئًا منك لكنى لا أعرف كنهه .. »

ـ « ينفتح أحد الأبواب .. أرى رجلاً أصلع الرأس مخيفًا يلبس عباءة سوداء . يقول لك : تعال .. تعال إن كنت ترغب فى الحياة . تسأله من هو فيقول لك بابتسامة كريهة : يطلقون على ألستر كراولى . فى اللحظة التالية يجذبك من معصمك وينغلق الباب ! »

* * *

ـ « إذن ماذا تقترح ؟ »

كنت أتكلم وأنا أحمل الكتاب وأتجه إلى المطبخ ..

الموقد الأبيض إياه الذى أنتجته المصانع الحربية سوف تجده فى كل بيت شيد فى الستينيات .. كان ينتظر هناك أمينًا واثقًا ... أشعلت اللهب وانتظرت لحظة ثم وضعت الكيس الذى يحوى الكتاب عليها ..

صرخ كولبى وهو يمد يده :

ـ « هل جننت ؟ »

أبعدته بساعدى .. لا تنس أنه دقيق ضعيف ، وقلت :

ـ « لا يوجد حـــل آخر .. على لوسيفر أن يتعلم أن كتابه قد فقد للأبد .. وعلى كولبى أن يفهم الأمر ذاته .. »

ـ « أنت مخبول !! »

هنا كان الكيس قد احترق وذاب .. غطت طبقة من البلاستيك الذائب الموقد ، وعندما دققت النظر فوجئت بالبرديات سليمة لم تمس ... النار تتوهج لكن كأنها تحرق قطعة من الفولاذ .. هذه برديات يا جماعة !.. كأنها القش ! لكنها لا تحترق برغم هذا ..

ـ « ما معنى هذا ؟ »

ــ « معناه أن الكتاب غير قابل للتدمير ... ومعناه أننا سعيدا الحظ .. كان يمكن أن تتحرر كل شياطين الجحيم لتثب فى وجهنا .. لقد تصرفت كمن يجد لغمًا فى الصحراء فيضعه على الموقد ليجرب ! »

حقًا .. لى نصف دستة من الأصدقاء جربوا وضع لغم على الموقد وكلفهم هذا أطرافًا أو عيونًا ..

سألت كولبى وأنا أتأمل الكتاب :

ــ « هل يمكن أن تأخذه ؟ »

ــ « بالطبع لا .. لن أشترى حذاءك الضيق العفن بأى ثمن !! هذه مشكلتك ومعاناتك .. »

ثم إن كولبى حمل الكتاب فى رفق ووضعه على رخامة المطبخ ، وقال :

ــ « يجب أن نخفيه .. لكن فى مكان لا نعرفه .. »

ــ « أنت تجعل الأمور سهلة فعلاً .. »

هنا خطرت لى فكرة ممتازة .. درامية لكنها ممتازة ..

سألت كولبى ونحن نتجه للباب :

ــ « أنت تعرف تلك التعويذة القديمة التى تمحو الذاكرة . أليس كذلك ؟ »

قال فى ارتباك :

ــ « بلى .. لكنى لا أفهم .. »

ــ « فقط تعال معى .. »

كان موضع الشارب الذى أزلته يشعرنى كأننى عار تمامًا . هناك برد حارق كأنك دهنت المكان بالنعناع .. لذا وضعت يدى عليه فى شىء من الحرج .

* * *

عند مدخل الشارع طلبت من كولبى أن ينتظرنى .

نظر حوله فى حيرة .. كان شارعًا هادئًا تحف به الأشجار من الناحيتين ، وصوت الطيور يحدث طنينًا مستمرًا .. عدد من الأجانب أكثر من المعتاد .. هناك سيارات وأكثر من بواب نوبى براقبنا فى شك .. هناك أكثر من سوبر ماركت ذو اسم أجنبى يبيع أشياء لا تدرى كنهها أو يبيع كيلو الطماطم بعشرين جنيهًا ،

وهناك مشترون يشهقون لأن الخضر رخيصة .. باختصار نحن فى المعادى أو جاردن سيتى أو الزمالك ... أو ... لن أحدد ..

قلت له :

ــ « لا تحاول أن تعرف أين أنا .. »

ثم رحت أمشى بسرعة بين السيارات حتى بلغت ذلك المدخل ..

كان بواب نوبى مسن يجلس هناك كالعادة وهو يشرب الشاى ويرمقنى فى شك .. لحيته طويلة بيضاء تمتزج ببياض جلبابه فيبدو فاخرًا .. على قدر علمى هو البواب الوحيد فى مصر الذى لا يعبث فى أصابع قدمه وهو يشرب الشاى ..

حييته .. وأخبرته أننى ذاهب لأقابل سمير بيه فى الطابق العاشر .. قال فى ثقة :

ــ « سمير بيه فى الطابق العاشر .. »

معلومات قيمة فعلاً .. أحب هؤلاء القوم المفيدين جدًا ..

سرعان ما كنت أستقل المصـــعد إلى الطابق العاشر .. سمير بيه غير موجود طبعًا فأنا أعرف أنه طلق مها قريبتى منذ عامين ..

مها تعيش هنا مع ابنتها فايزة .. وهى بالطبع تتوقع هجومًا من عصابات المافيا أو أى مار يريد ذبحها .. لسبب ما تعتقد أن الحكمة من خلق البشر هى ذبحها ..

هكذا ظللت أدق الباب ساعة .. هناك باب حديدى غليظ خلفه باب خشبى .. وقد استغرقت أربع ساعات حتى فتحت الباب ثم استعدت للصراخ والموت .. ثم عرفتنى فهتفت :

ــ « رفعت !.. أيها العجوز ! »

ككل المصريين لا تلاحظ الشارب أبدًا .. هذه عادة مصرية عتيدة .

وهكذا ســـمحت لى بالدخـــول ، بينما ابنتها ترقبنى بكراهيـــة ومقت كأنما أنا من سيقتل أمها حالاً ...

كانت تردد بلا توقف :

ــ « معذرة .. لا أستطيع أن أبقيك أكثر من هذا .. أنت تعرف كلام الناس ... »

ــ « أعرف .. أعرف .. »

ـ « لا .. أنت لا تعرف كلام الناس .. عندما تسمح مطلقة لرجل بدخول بيتها فى ساعة كهذه ، فهم يفترضون أنها .... »

ـ « كفى ! »

لم أكن أريد سوى خدمة واحدة بعدها سافر من هنا ..

ناولتها الكتاب الملفوف فى الكتان وقلت :

ـ « اخترتك لأنك لست فى بالى ولأننى أتذكرك بصعوبة .. هل هذا مفهوم ؟ »

ـ « لا .. »

ـ « ليكن .. كل ما أريده هو أن تحتفظى بهذا الكتاب لى فى مكان أمين .. »

نظرت له بشك .. كتب قليلة جدًا هى التى تصلنا مغلفة بالكتان المتآكل العطن . قالت :

ـ « هل هذا كتاب .. من ... من تلك الكتب التى .... »

قلت لها بلهجة عادية ، وأنا أنهض وأزرر سترتى :

ـ « هذا كتاب شيطانى كتبه تحوت .. وكل سحرة العالم يبحثون عنه .. هل من أسئلة أخرى ؟ »

انفجرت فى الضحك كما توقعت وهتفت :

ـ « أنت مولع بالمزاح كعهدى بك .. سوف أضع هذا الكتاب فى فرن الموقد القديم .... »

قاطعتها فى عصبية :

ـ « لا أريد أن تخبرينى بمكانه .. أريد عشوائية تامة .. اتفقنا ؟ لكن لا تضعيه فى الموقد القديم لأنى خمنت هذا المكان .. »

ثم اتجهت للباب الخشبى أعالجه فالباب الحديدى ..

قالت وهى تضم ابنتها لصدرها مع الكتاب :

ــ « آسفة لأننى لم أدعك للبقاء وشرب شىء بارد .. أنت تعرف كلام الناس .. مطلقة شابة مثلى تعيش وحدها .. هذا يثير شكوكهم .. لابد أنها الفساد نفسه .. »

تعلمت هذه الأساليب من فرويد .. تكرار هذه المعلومات الفاضلة بلا مناسبة معناه على الأرجح أنها تتحرق شوقًا لتكون الفساد نفسه .. لكن لا وقت لهذه التفاصيل ..

قلت لها وأنا أضغط على زر المصعد :

ــ « لا تخبرى أحدًا أننى جئت .. ربما كان الأفضل لو نسيت ذلك .. »

قالت فى حرج :

ــ « ليكن .. أرجو أن تغفر لى .. سوف يشكون فى سلوكى لو .. »

لحسن الحظ جاء المصعد فأنقذنى ..

هذه السيدة تتوق بشدة لأن يشك الناس فى سلوكها ..

لحقت بكولبى فى الشارع وكان قد وجد امرأة أمريكية وقفت تثرثر معه ..

هززت رأسى محييا لها ثم هرعنا إلى سيارتى .. أدرت المحرك وانطلقنا عبر الشوارع شبه الخالية ..

سألنى عما حدث وماذا فعلت فقلت له :

ــ « تقريبًا لا أعرف .. هذه نقطة تفوق مهمة لى .. كلما ازددت جهلاً كان هذا أفضل .. »

قال :

ــ « لاحظ أن آثارك موجودة .. أنا مثلاً .. الناس الذين قابلتهم فى هذا المشوار .. »

ــ « لكنها آثار مبتورة لا يمكن استكمالها .. »

عندما بلغنا محطة القطار أوقفت السيارة فى موقف الانتظار .. دفعت مبلغًا لا بأس به لأنها ستبقى هناك فترة طويلة .. ثم طلبت من كولبى أن ينزل معى ...

دخلنا كافتيريا قريبة فانطلقت مع كولبى إلى الحمام ، وكان المكان خاليًا .. قلت له بسرعة :

ــ « هيا .. ألق تعويذة النسيان على .. »

ــ « لكن .. »

ــ « هذه التعويذة سوف تجعلنى أنسى القصة كلها وأنسى من أنا .. أما أنت فلن تعرف مكانى ولا مصيرى لأننى سأركب قطارًا لا تعرفه أنت ... ليست معى أى أوراق تخبرهم بحقيقتي"

قال فى حيرة ووجهه الطفولى يرتجف :

ــ « تريد أن ألقى بك فى القطـــار فاقــد الذاكرة وبلا مأوى ولا صديق ؟ »

ــ « لن يحدث لى شىء .. هذا شعب ودود .. صدقنى ... الفكرة هى أننى لا أريد أن تعرف أى شىء عنى .. لو حدث اختــراق لعقلك فســوف يعــرف المختــرق كثيرًا جدًا .. لكن الآن .. »

وأشرت له :

ــ « هل تعرف أين الكتاب ؟ »

ــ « لا .. »

ــ « هل تعرف مع من تركته ؟ »

ــ « لا .. »

ــ « هل تعرف أين سأكون غدًا ؟ »

ــ « لا .. »

ثم أضفت وأنا أعد ما معى من مال :

ــ « سوف أثق بك .. عنــدما تتحسن الأمور أو تشعر بأن فترة كافية قد مرت .. سوف ترد لى ذاكرتى .. هه ؟ »

ــ « هذا لو ظللت حيًا .. »

وقفت أمامه مستسلمًا وقلت له وأنا أنظر فى عينيه :

ــ « هلم .. امح ذاكرتى .. لا أريد أن أذكر حرفًا عنى

قال فى استسلام :

ـ « ليكن .. »

وبدأ يتلو كلمات لم أتبينها وأنا أنتظر فى توجس ..

سوف أرى تأثير هذه الكلمات ..

تأثير هذه الكـ ..

تأثير هذه الـ ....

هه ؟

* * *

أنا فى القطار ..

أصغى لصوت تشيكا بوم – تشيكا بوم .. وأرقب ذلك الجزء الشبيه بالأوكورديون الذى يربط عربتين ... أهتز ...

أنظر من النافذة .. أراقب المزروعات ، أعمدة النور تتسابق أيها يبلغ وجهته أسرع .. للأسف لا يستطيع عمود نور أن يلحق بما سبقه ..

هناك حقول .. هنـــاك مواش واقفـــة .. فلاحة تحمل كومة عملاقة من البرسيم .. هناك أطفال يتشاجرون وفلاح عجوز شبه عار يجلس خلف الشادوف ..

أراقب الناس فى القطار ..

من هؤلاء ؟.. السؤال الأخطر هو من أنا ؟

أنا لا أملـــك أى فـكرة عـــن شخصى ولا مكانى .. مـــن أين جئت ؟.. إلى أنا أين ذاهب ؟

بحثت فى جيبى عن أوراق فلم أجد .. لا أملك حتى أبسط انطباع عن ملامح وجهى .. نظرت أمامى فرأيت شيخًا أصلع قبيح الوجه ينظر لى بفضول عبر الزجاج الذى يفصلنى عن المقعدين الأولين ..

هـــذه ليســت مرآة بل هى انعكاس وجهى فى زجاج شفاف تجلس أمامه سيدة بثوب أسود ..

هذا أنا .. رفعت يدى ونظرت لانعكاسها ثم نظرت لها هى نفسها .. لجلدها .. جلد مبقع مجعد .. لست شابًا كما هو واضح لكن من أنا بالضبط ؟

هكذا ظللت فى القطار .

عندما وصل القطار إلى محطته النهائية نهض الناس مغادرين ..

ساد الصخب لفترة والهرج والمرج ... لكنى ظللت جالسًا جوار النافذة كما أنا .. لا أملك خططًا ولا مكانًا أقصده .

أحد عمال نظافة القطار رآنى حيث أنا وجاء يسألنى وهو يستند إلى المكنسة عن وجهتى :

ـ « هذه هى الإسكندرية يا والدى .. ماذا تنتظر ؟ »

رأى تلك النظرة الخاوية فى عينى .. لم يعرف ما هنالك لكنه خمن على الأقل إننى بحاجة للعون ..

بعد قليل التف حولى كثيرون ، ثم ظهر رجل شرطة من مكان ما ..

راح أحدهم يبحث فى جيبى عن أوراق .. وسمعت عبارة :

ـ « فاقد الذاكرة .. هذا واضح .. »

مد أحد رجال الشرطة يده فى جيب سترتى الداخلى وهو يردد كأنه يهدئ حصانًا :

ـ « انتظر يا والدى .. لا تقلق .. اهدأ .. »

حتى توقعت أن يقول (يس س س) ويربت على خطمى ..

ثم أخرج مظروفًا صغيرًا فتحه .. راح يحاول القراءة مرارًا ثم استطاع أخيرًا أن يقول بصوت عال :

ـ « عباس الغريب ـ مصحة د. إدريس ـ العنوان (.....) الإسكندرية .. »

كان تخطيطى دقيقًا ولا بأس به أبدًا ..

لقد قمت ـ قبل فقدان ذاكرتى ـ بحجز أسبوعين فى تلك المصحة باسم (عباس الغريب) .. كانوا ينتظرون مريضًا فاقد الذاكرة بهذا الاسم وكانوا ينتظرون أن يجلبه أقاربه ..

د. إدريس لا يعرفنى ولا يعرف حرفًا عنى .. هذا مهم .. لكنه يعرف أن اسم عباس الغريب مستعار كما هو واضح ..

ما حدث بعد هذا هو أن رجال الشرطة هم الذين جاءوا للمصحة يسألون عن سبب وجود عنوانها معى . بالطبع كان الباقى سهلاً لأن المصحة خاصة وأجر إقامتى مدفوع سلفًا . عندما ينتهى المبلغ المطلوب سيلقون بى فى الشارع ...

كانت المشكلة الوحيـدة أمـام رجال الشرطة هى معرفة من حجز لى فى المصحة ، ومن وضعنى فى القطار وتركنى ..

لكن معرفة هذا كانت مستحيلة ..

وهكذا وجدت نفسى بين أسوار تلك المصحة الجميلة ..

لا أعرف من أنا ولا ما أفعله هنا . فقط يقولون إننى مصاب بفقدان الذاكرة ويحاولون علاجى ، وقد قدر د . سليم إدريس مدير المصحة إننى تعرضت لصدمة عصبية قاسية ..

قالت له الطبيبة الحسناء :

ـ « صدمة عاطفية ؟ »

نظر لشكلى فى شك ثم قال :

ـ « فى هذه السن وبهذه الملامح ؟.. مستحيل ! »

أما أنا فقد بدأت حياة هادئة بالفعل . الجلوس بالروب فى الحديقة ومراقبة الطيور التى تلتقط رزقها بين الأعشاب ، أو مراقبة المرضى النفسيين يلعبون كرة الطاولة ..

لا أعرف من أنا ولا كيف جئت هنا .. لكنى لست قلقًا ..

أشعر بسلام نفسى غريب ..

فقط كنت أشعر بقلق من أن تتكشف الأمور ، وأجد أننى لص هارب أو السفاح الذى تبحث عنه ست دول أوروبية .. رباه ! لا أعتقد أن هذا وارد مع هذا السلام النفسى الغريب ...

انعقدت صداقة حميمة بينى وممرضة فى الثلاثين من عمرها ، أنيقة راقية .. كانت تأتى لتراقبنى وأنا أمسك بلوح كتابة .. كنت

أحاول أن أرسم بعض العصافير التى تتواثب أمامى ، وقد راقبت أداتى وخطوطى بعض الوقت ، ثم قالت فى انبهار :

ـ « أنت رسام ممتاز .. »

حقًا .. أنا رسام جيد ولم أعرف هذا عن نفسى ..

لو لم أعرف من أنا فلسوف أصير رسامًا .. أعتقد أن بوسعى أن أفترض أن مهنتى الحقيقية هى الرسم .. الفنان عباس الغريب . ربما أنا أستاذ بكلية فنون جميلة .. ربما أنا رسام فى وزارة الثقافة .. أو ....

أما عن هذه الممرضة اللطيفة فلربما تقبل الزواج منى .. برغم فارق السن المخيف . إنها تحبنى كما أنا ..

لكن .. ترى هل أنا متزوج فى عالم الواقع ؟

* * *

حدث شىء غريب اليوم ..

كنت جالسًا فى الحديقة أرسم كالعادة ، ثم من بعيد ظهر د . إدريس يمشى مع رجل متقدم فى العمر وسيم وقـور .. من الطراز الذى يتحول شعره لسلوك فضة ويزداد سحرًا كلما تقدم

فى العمر . هل تعرف ذلك الطراز الذى يضع بابيون بدلاً من ربطة العنق ؟؟ كأنه أستاذ فى هارفارد ..

كانا يتكلمان معًا ..

فجأة لاحظت أنه ينظر لى فى اهتمام .. توقف ..

صاح من مكانه :

ـ « رفعت ؟ »

لم آت بأى حركة ، فالنداء لا يخصنى ..

قال د. إدريس :

ـ « هو رجل فقد الذاكرة وألقاه أهله فى قطار .. اسمه عباس .. »

لكن الرجل واصل النداء :

ـ « أنت رفعت .. أليس كذلك ؟ »

لكن لا مبالاتى وثقة د. إدريس وعدم وجود شارب لى جعلوه غير واثق من موقفه .. كاد يدنو منى لكن إدريس قال له :

ـ « لا تتعب نفسك .. لن يتذكرك يا د. سامى .. من الواضح أنه لا يعرفك أصلاً .. »

اسمه د. سامى ؟.. واضـح أنه طبيـب نفسانى سكندرى .. لا شك فى هذا . رأيته يهز رأسه فى حيرة ويقول : جائز ..

ابتعد الاثنان فعدت أواصل الرسم فى رضا ..

الهــول

إنه الليل ..

وفى موضع من الصحراء تفككت طبقات الرمال وبدأت فجوة فى الأرض تولد .. هرعت السحالى خائفة ، ودوى صوت رعد ، وتوهج برق فى السماء لا تدرى كيف جاء فى صحراء كهذه ..

كان هناك دخان .. وكان هناك لهب ..

ولما بدأ الدخان ينقشع ولما انطفأت النار ، كان د. لوسيفر يقف هناك ....

ما زال الرجل هو .. بقامته الفارعة .. بثيابه السوداء التى لا يمكن أن تتجعد أو تتسخ أبدًا ... بالنظارة السوداء فى عينيه ، والتجاعيد البسيطة التى تجعل وجهه كأنه قناع دمية .. بخواتمه التى تحيط بكل أصابعه .. بالقلادات الثقيلة على صدره ...

كان يمشى بلا خوف أو وجل ، برغم أن هناك أكثر من لافتة تنذر (ألغام) ..

وقف للحظات وتشمم الهواء ثم هتف بلغة غريبة :

ـ « الآن يسترد لوسيفر كنـزه العتيـق .. الآن تنتهى دورة الأزمنة ، ويستعيد حامل الضياء كبرياءه ... فلتسمعينى أغانيك يا بنات الليل .. »

ومن كل صوب هرعت الذئاب تحيط بالمكان .. وراحت تطلق عواءها الموحش الغريب ..

شرير آخر هو دراكيولا كان يحب هذه الأنغام جدًا ... وكان يقول : 'أبناء الليل .. ما أجمل موسيقاهم ! »

تدوى صرخات المعذبين فى أقبية العذاب فى هيدز .. وترتجف الجثث المتحللة كأنها تنتشى ..

لوسيفر هذه الليلة ـ والحق يقال ـ راض ...

* * *

فيما بعد عرفت أن الهول كان شديدًا ..

فجأة طار باب شقتى جانبًا .. ودخل لوسيفر إلى الشقة ينادى بلغة إنجليزية مشوهة :

ـ « هلم أيها الفانى ... بيننا كلام يطول .. »

قال عزت جـارى : إنه سمع صـوت الانفجار . غادر شقته مسرعًا وهرع إلى شقتى .. أثار ذهوله أنه لم يكن هناك باب .. كأن لغمًا انفجر هناك ....

دخل إلى الصالة وهو ينادى فى لهفة :

ـ « رفعات ! »

يعرف أننى أحمق لكن ليس إلى هذا الحد ...

دخل إلى غرفة النوم .. لم يجدنى فيها لكنه رأى ذلك الرجل المسربل باللون الأسود والذى يقف فى وسط الغرفة وقد بدا عليه غضب جحيمى .. هذا الرجل مألوف ... وأدرك أن عملية تفتيش عنيفة تمت فى الحجرة ، فلم يكن هناك درج فى موضعه .. وكانت معظم أبواب خزانة الثياب منزوعة .. وكانت الشرفة ذاتها مفتوحة ..

أدرك من اللحظة الأولى أن هذا الرجل غير طبيعى ، ومن الخير أن يبتعد المرء عنه .. اطلب الشرطة يا عزت .. اطلب الشرطة ..

ـ « أين هو ؟ »

قالها الغريب ، ومد يده .. يده التى شعر عزت أنها استطالت أكثـر مـن تقديره .. الرجل يقف فى وسط الغرفة فكيف بلغته اليـد ؟

شعر بها على جبينه .. باردة قاسية ...

ـ « واه أنت كطفل رضيع .. لكنك لا تعرف .. »

وشـعرت بأن إصبعًا قـد دخـل هنـاك ينخـر فى عقله .. هذا لم يحدث طبعًا لكنه إحساس معنـوى . آسـف للتشبيه لكنـه قال لى إنه تذكر ما يفعله الطفل عنـدما يدس إصبعًا فى أنفه ويبحث ....

هناك إصبع مجازى يبحث .. ينقب ...

ـ « أين هو ؟ »

فهم على الفـور أن الغريب يبحث عنى أنا ... لكنه لم يكن يملك إجابات .. لا يعرف ما يقول ولا كيف يفكر ..

هو لم يرن منذ أسبوعين ، وبالفعل لا يعرف إن كنت فى القاهرة أم لا .. فى مصر أم لا .. فى العالم أم لا ..

أبعد الغريب يده ونظر بتلك النظرة النارية لعزت ...

شم عزت رائحة الكبريت القوية تفعم كل شىء ... هناك شىء غريب يدور هنا .. شىء شيطانى ...

لقد اعتاد مفاجآت رفعت القذرة ، لكن هذه المرة يبدو الأمر جادًا ومخيفًا فعلاً ..

بعد لحظة أدرك أن الغريب يتجه للشرفة ..

قال عزت شيئًا عن أن الشرفة لا تفضى لغرفة أخرى وأن ....

ثم أدرك أن الغريب الأسود ليس موجودًا هنا على الإطلاق ...

لقد دخل الرجل الشرفة ثم توارى ..

توارى فى الليل المظلم بالخارج ...

شىء مماثل حصل فى المستشفى التى أعمل فيها ..

رجل أسود الثياب والعينين والشعر والأفكار تسلل إلى مكتبى ودمر كل شىء ... ولما حاول العمال القبض عليه نفضهم عنه كأنهم ذباب ، فطار اثنان ليهشما رأسيهما على الجدار ...

لم يموتا لحسن الحظ ...

وغادر الرجل المستشفى ، وبعد خطوات فقدوا أى أثر له ..

من هو ومن أين جاء ؟

لا يعرفون ..

* * *

وفى قريتى ظهر د . لوسيفر بشكل خاطف وأثار الكثير من الرعب ..

لكن لم يستطع أحد أن يخبره بشىء ...

هذا غريب !

لابد أن يلقى شخصًا يعرف أين أنا . أو يذكر أننى قلت : إننى ذاهب للمكان الفلانى ..

حتى لو كنت قد سافرت خارج مصر ، فسجلات المطار لا تذكر اسمى مطلقًا .. وقد كان لوسيفر قادرًا على مسح الملفات كلها فى ثوان ...

لكنه كان يعرف أن كولبى فى مصر ..

السحرة كلهم يعرفون أن كولبى فى مصر من أجل يوم السابات العظيم . ومن المؤكد أنه لم يعد للولايات بعد ...

كان كولبى نائمًا فى شرفة الفندق بالطابق الأول ينعم بالقيلولة الهادئة .. ولم يكن هناك أحد من حوله حيث جلس على حافة حمام السباحة ...

نظارة سوداء على عينيه وكاسكيت على وجهه ..

لا يعرف كيف ولا متى وجد نفسه معلقًا فى الهواء ويد تطبق على حنجرته ..

عندما فتح عينه وجد أنه يحدق فى آخر وجه يتمنى لقاءه .. د. لوسيفر شخصيًا ..

أصدر صوتًا كأنه بطة تذبح ..

قال لوسيفر بصوته البيرى المحبب :

ـ « حسن .. حسن ... إن لم يكن هـذا كولبى اليهـودى النصاب .. إننى بلقائك أسعد ولك قلبى يطرب .. أما أولادى فمن أجلى هم سعداء .. »

سأموت أيها الأبله .. أطلق سراحى ى ى ى ..

كان ما صدر منه هو فحيح طويل .. أدرك فى جزء أن قدميه تبعدان نحو نصف متر عن الأرض .. إنها النهاية ..

قال لوسيفر مواصلاً الكلام :

ـ « الفانى الآخر مختف وسام كولبى هنا فى القاهرة فى أعياد تحوت .. ليس للوسيفر أن يفـكر فى احتمالات أخرى .

أنتما تعملان معًا .. أنتما تبحثان عن شيء واحد ... أنت تعرف موضع إسماعيل أى كولبى .. »

كـان كولبى موشكًا على المـوت فألقاه لوسيفر على الأرض ليسترد أنفاسه .. ثم اتجه إلى قنينة شراب على المنضدة فصب لنفســه كأسًا .. رفعـه لأنفـه وتشممه حينًا ثم ابتلعه مـرة واحدة .... مسح فمه بأناقة وقال :

ــ « موتًا تموت ... تلميذًا لى وعبدًا كنت ، لكن حاجتى إلى إسماعيل أقوى من أى شفقة .. »

كان كولبى على الأرض يحاول النهوض ..

لكن ركلة من الحذاء الأسود البراق الأنيق كومته أرضًا من جديد ..

رفع رأسه ليتكلم .. هنا كانت الأنامل الحساسة الطويلة ذات الأظفار السوداء على جبينه .. كأنه أم تتحسس جبين طفلها .. ثم قال :

ــ « الحق ما تقول .. أنت لا تعرف .. أنت قابلته وثرثرت معــه لكنــك لا تعرف أين هــو ... هناك فى دماغك ذكرى عن قطار .. عن ... عن .... »

ثم ظهر الحقد على وجهه وبرز ناباه كأنهما أنياب مصاص دماء :

ــ « ذكرى عن كراولى ... »

وفكر حينًا ... ثم قال :

ــ « كراولى هنا .. أليس كذلك ؟.... وهو يبحث عن كتاب المعظم ثلاث مرات .. »

قال كولبى :

ــ « إن .... »

لكن لوسيفر حمل كولبى من ياقة الروب وأطاره فى قلب حمام السباحة ... انتثر الماء فى كل صوب ... ومن الغريب أن أحدًا لم يأت كأن مشهد رجل فارع القامة يلبس الأسود ، يلقى فى

حمام السباحة رجلاً ضئيل الحجم مذعورًا .. هذا المشهد لا يثير دهشة العاملين هنا .. وقال ببرود :

ـ « لا تجب فقد وصلت الإجابة .. »

ثم وقف يراقب محاولات كولبى للخروج ..

دنا كولبى من الحافة . هنا أدرك أنها ابتعدت ... راح يسبح نحو الحافة الأخرى فوجد أنها ابتعدت .. كان من الذكاء بحيث لم يحاول أكثر .. طريقة عذاب تنتالوس هذه معروفة جيدًا .. لو جرب الخروج طيلة الليل للعب لوسيفر ذات اللعبة طيلة الليل ..

ضحك لوسيفر طويلاً حتى إنه أرجع رأسه للخلف كما يفعلون فى الأفلام وقال :

ـ « هاها ... ضئيل .. ضئيل ... بحق ابنى العظيم ، إن هذا ليمنحنى لذة هائلة .. »

ثم أشار بإصبعه لكولبى منذرًا :

ـ « سأعود لك .. أنت تعرف أننى سأعود .. »

وعندما رفع كولبى عينيه من جديد كان لوسيفر غير موجود ..

عندها فقط استطاع أن يصرخ طالبًا الغوث ..

* * *

يجب أن أنذر رفعت .. يجب أن أنذره ..

لكن كيف ؟..

الطريقة الوحيدة التى نجا بها رفعت هى أننى لا أعرف مكانه ..

لكن هناك دستة من الاحتمالات فى ذهنى .. هناك حيل كثيرة يستطيع بها لوسيفر أن يجد رفعت ويجد الكتاب ...

المشكلة الأخرى هى كراولى اللعين الذى يجول فى عالمنا ..

الليلة سوف أحاول من جديد أن أعيده لعالم الشياطين .. لا يمكن أن تتحمل الأرض وجود لوسيفر ووجود كراولى معًا ...

ولكن كيف ؟

فى القصة القادمة نستكمل أســـطورة حـامـل الضـــياء

(الجزء الثانى)

لاحـــظ أن الكتيـــب ســيحمل الرقم (78) جـ2

مناسبات .... إلخ

انتهت هذه القصة بحمد الله ، وإن كانت لم تستكمل بعد ..

أستغل الفرصـــة إذن قبـــل أن ينتقـــم د. لوسيفر ، وأوجه بعض التهانى للأصدقاء . لا شك فى أننى نسيت الكثير جدًّا بسبب اضطراب الفترة السابقة ، لهذا أطلب العذر ممن نسيت ذكره هنا ...

- مثلاً لابد أن أهنئ الأديب العزيز وفنان التصوير أحمد مراد صاحب روايتى (فرتيجو) و(تراب الماس) على تحويل الرواية الأولى إلى مسلسل . أحمد مراد إنسان نادر بالفعل ، وهو من القلائل الذين يملكون ذات الصفاء من الخارج والداخل .. دعك من أنه رفيق سفر ممتاز .

- العزيزة شيرين هنانى عاشـــقة قصص الرعب ، والتى عرفتهـــا هى وصديقتها حنـــان الكرارجى فنـــانة الكاريكاتور

الموهوبة ، فوجدت أنهما تشكلان جماعة (أخوية) خاصة تهتم بالرعب . وقد نالت عبارات مدح غالية من العظيم محمد المخزنجى على روايتها (نكروفيليا) ـ حتى إنه استخدمها فى مقال كامل شهير ـ وبعد هذا صدرت لها رواية مرعبة ضخمة متشابكة هى (صندوق الدمى) عن دار الرواق . التهنئة واجبة .

ـ مثلاً لابد من تهنئة صديقة روايات المخضرمة إيمان زكريا أو (نفرتيتى) التى شرف المؤلف بحضور حفل زفافها ، وقد كان حفلاً شاعريًا أنيقًا أقيم عصرًا فى الهواء الطلق مع ألحان سماوية راقية . إن الفرح الذى لا تسمع فيه (ما تحششش وتولع والا احنا فى بنزينة) هو فرح يستحق أن تحكى لرفاقك عنه .

ـ هناك أفراح كثيرة أنا مدعو لها مع المؤلف؛ ومنها زفاف العزيز عمرو عز العرب .. والناشر العزيز محمد سامى .. إلخ ..

ـ يجب أن أهنئ صديقتى الموهوبة د. سارة شحاته على صدور مجموعتها القصصية الرائعة (رائحة نعناع) ..

ـ موقع أعشقه بشدة هو موقع عرب كوميكس :

www .arabcomics .net

أنت تعرف عشقى للقصص المصورة ، وإننى أعتبرها فنًا وسيطًا بين السينما والرواية الرسم .. إنها تقف بالضبط فى مركز الدوائر الثلاثة .. يطلقون عليها اسم (الفن التاسع) ، وهناك أشخاص متحمسون بشدة لنقل هذا الفن للقارئ العربى . من ضمن المحاربين الذين سوف يؤرخ لهم فيما بعد صديقى هانى الطرابيلى ، وهو عاشق قصص مصورة وجامع لا يشق له غبار . يعرف كل ركن تباع فيه القصص المصورة فى مصر ، وكل بائع كتب فى الأزبكية يعرفه . وقد وجدت لديه قصصًا من الخمسينيات والستينيات حسبتها انقرضت تمامًا .. إن ما يقوم به يتجاوز الهواية إلى عمل أرشيف عملاق يمكن أن تكلف به جامعة . وبالفعل تعرف معظم الدول العربية قيمته جيدًا ..

وقد أصدر مجلدًا ممتازًا عن تاريخ القصص المصورة فى لبنان .

يقول هانى :

ظهر موقع عرب كومكس عام 2005 وبعد عام توسع وضم الكثيرين من الأعضاء . أنت تعلم يا سيدى أننا نعانى من شح كبير فى ترجمة القصص المصورة منذ إغلاق تان تان والمطبوعات المصورة وبساط الريح ... لم نعد نجد من يترجم لنا فقررنا الترجمة لأنفسنا ... عددنا كبير والحمد لله .. وتقريبًا نجد قصة مترجمة جديدة على موقعنا يوميًا ... نشاط أعضائنا تطوعى ولذلك هم يمارسونه بحب حقيقى ...

منتدانا لا يهدف للربح وهو خال من الإعلانات ... أحد الأعضاء قال : إنه كان يعتبر نفسه (Alien) بمعنى غريب فضائى ... حتى عثر على كوكبنا .. أقصد موقعنا ..

الهدف الثانى هو استكمال حركة الترجمة بعد توقفها المؤسف التدريجى منذ أوائل الثمانينيات حتى توقفها نهائيًا منتصف التسعينيات .. أعتقد أن أى مشروع كوميكسى يهدف للربح مصيره المحتوم فى وطننا العربى هو الإفلاس .. لأنها هواية نادرة .

هل تصدقنى يا دكتور لو قلت لك : أن الوحدة العربية تحققت على موقعنا ؟

الموقع يديره مصرى ــ العبد لله ــ وأخ أردنى ... ويشاركنا فى الإدارة كتيبة من المشرفين ؛ سوريين وعراقيين ولبنانيين وليبيين ....

إن الهواية المشتركة تصنع المعجزات ...

ولا يترك أحدنا فرصة أبدًا عند سفره لأى بلد عربى إلا وينتهزها لرؤية أعضاء الموقع هناك ...

صارت هناك شلة عرب كوميكس فى الإسكندرية ... وأخرى فى سوريا وأخرى فى السعودية إلخ إلخ إلخ ...

تصور أنه لو تمنى أحد الأعضاء قراءة قصة معينة نجد عضوًا آخر يتطوع لترجمتها له .... ولو سأل أى عضو سؤال كوميكس ستجد عضوًا آخر يجيب عليه ... منظومة متكاملة أفتخر أننى مديرها .... نحن نكمل بعضنا بشكل غير طبيعى ...

أنا متخصص بالكوميكس المعربة .. أى أننى متابع جيد لحركة الترجمة منذ الخمسينات وحتى اليوم ... وعند أى سؤال عن أى مجلة عربية (كم عددًا صدر لسوبرمان ؟.. لماذا توقفت مجلة كذا أو كذا ؟) يجدون إجابته عندى ...

آخـرون متخصـصـون بالـكوميكس الفرنسى ... آخرون عباقـرة بالمانجـا . هـم يعتبـرونى موسـوعة فـى كـل ما تـم ترجمتـه لأن مكتبتى تحتـل حائطـا ونصـفا فـى غرفتى وبهـا سـلاسـل كاملة شقيت حتى أجمعهـا على مدى عشرين عامًا ...

لعلمك متوسط أعمـار الأعضـاء مـن عشرين إلى خمسين عامًا ..

لا هدف لنا من الإعلان إلا اجتذاب عشاق كوميكس لا يعلمون عنا أى شىء .... هدفنا ليس ماديًا بل نحن نصرف على الموقع من جيبنا الخاص ..

هكذا تكلم هانى الطرابيلى وأنا أعرف أنه صادق فى كل كلمة قالها ؛ لأنه طفل كبير يفعل الأشياء لأنه يعشقها ، وإننى لأدعو الجميع لزيارة موقع عرب كوميكس .

أغانى المهد :

صدر هذا العدد الخاص منذ فترة ، وكان يحتوى لغزًا تقوم أنت بحله استنادًا إلى مجموعة من أغانى الأطفال . بصراحة لا أعتقد أنه كان لغزًا سهلاً ، ولا أعـرف ما كنـت سـأحققه لو وجه لى أحدهم هذا اللغز .. كما يقول رعـاة البقـر : أنـت بارع جـدًّا وأنت خلف هذا المسدس . أنا بارع جدًّا عندما أتولى السؤال ..

لم يكن اللغز سهلاً ، وكان هناك شرك تعمده المؤلف عندما لم يكتب الأسماء بالحروف اللاتينية ، وهكذا استبعد قراء كثيرون اسم دوجلاس على أساس أنه يكتب هكذا Doglas وبالتالى هو من ستة أحرف وخارج نطاق الشبهات . طبعًا يكتب الاسم Douglas أى أنه من سبعة أحرف ، ومن الصدفة أنه هو المتهم الذى يجب قتله !

برغم هذا تلقى المؤلف الكثير من الإجابات الصحيحة ، أما الإجابات غير الصحيحة فقد فاض بها صندوق البريد .. وقد وعدنا بتقديم أول عشرة أسماء مصرية قتلت دوجلاس ، أذكرها هنا بترتيب الوصول :

1 ــ ميسرة محمد الدندراوى ــ عين شمس ــ القاهرة .

2 ــ إبراهيم لطفى إبراهيم ــ القاهرة ــ التجمع الخامس .

أول اسمين مهندسان ؛ لذا نحفظ الألقاب لكن لن نكتبها منعًا للتعقيد ..

3 ــ هالة عبد اللطيف : لم تحدد مكانها ؛ لكنها تطلق على نفسها الزهرة الزرقاء . خريجة تجارة عين شمس .

4 ــ محمد أحمد .. هذا اسم صعب جدًا .. ابن المؤلف نفسه اسمه محمد أحمد ، ويمكن أن أزعم أنه الفائز .. لم يذكر أى علامة مميزة أخرى !

5 ــ آلاء محمود بشير .

6 ــ مازن يسرى عبد العزيز .

7 ــ نابر يسرى : صديق مخضرم ومهندس كمبيوتر ، وخبير لغوى أطلب رأيه دومًا فى المشاكل اللغوية المعقدة .. شرح لى طريقته فى الاستنباط فلم أفهم أى شىء ، لكنه وصل للإجابة على كل حال .

8 ــ محمد عبد الستار .

9 ــ يمنى يوسف عمر ــ مدينة نصر .

10 ــ تويتى ماهر اسم مستعار فى حل مسابقة .. إذن كيف أعرف أنه أنت ؟

هؤلاء هم العشرة الأوائل .. هناك خطابات عديدة لكننا وعدنا باختيار أول عشرة . كما حدث فى باقى سلاسل المؤلف ، سوف نلتقى بهم إن شاء الله فى معرض الكتاب 2013 ، على الأرجح مع جائزة صغيرة .. سوف يرسل لهم المؤلف التفاصيل على عنوانهم البريدى .

بالنسبة للأصدقاء غير المصريين :

1 ـ الدكتورة صالحة عدلان : السودان ـ وأرجو أن تكون ترجمة الاسم صحيحة فقد تكون (صولحة) .

2 ـ ريناد عبد الله : المغرب العربى

بس .. هناك خطابات عدة من خارج مصر لكنها تجمع على أن الفاعل دوجوفان ..

إلى لقاء قريب إن شاء الله .

د . رفعت إسماعيل

القـــاهرة

روايات مصرية للجيب

ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس من فرط الغموض والرعب والإثارة

● صدر من هذه السلسله ●

1 ـ أسطورة مصاص الدماء .
2 ـ أسطورة النداهة .
3 ـ أسطورة وحش البحيرة .
4 ـ أسطورة أكل البشر .
5 ـ أسطورة الموتى الأحياء .
6 ـ أسطورة رأس ميدوسا .
7 ـ أسطورة حارس الكهف .
8 ـ أسطورة أرض أخرى .
9 ـ أسطورة لعنة الفرعون .
10 ـ أسطورة حلقة الرعب .
11 ـ أسطورة الكاهن الأخير .
12 ـ أسطورة البيت .
13 ـ أسطورة الذهب الأزرق .
14 ـ أسطورة رجل الثلوج .
15 ـ أسطورة النبات .
16 ـ أسطورة الناقراى .
17 ـ أسطورة حسناء المقبرة .
18 ـ أسطورة الغرباء .
19 ـ أسطورة بو .
20 ـ حكايات التاروت .
21 ـ أسطورة عدو الشمس .
22 ـ أسطورة المينوتور .
23 ـ أسطورة رعب المستنقعات .
24 ـ أسطورة إيجور .
25 ـ أسطورة الجنرال العائد .
26 ـ أسطورة المواجهة .
27 ـ أسطورتنا .
28 ـ أسطورة آخر الليل .
29 ـ أسطورة الجاثوم .
30 ـ أسطورة بعد منتصف الليل .
31 ـ أسطورتها .
32 ـ أسطورة رفعت .
33 ـ أسطورة أرض المغول .
34 ـ أسطورة الشاحبين .
35 ـ أسطورة دماء دراكيولا .
36 ـ أسطورة الفصيلة السادسة .
37 ـ أسطورة النُّدَّاهة .
38 ـ أسطورة النصف الآخر .
39 ـ أسطورة اللوعجين .
40 ـ وراء الباب المغلق .
41 ـ أسطورة فرانكنشتاين .
42 ـ أسطورة الكلمات السبع .
43 ـ أسطورة تختـلـف .
44 ـ أسطورة رجل بكين .
45 ـ أسطورة بيت الأفاعى .
46 ـ أسطورة طفل آخر .
47 ـ المنزل رقم (5) .
48 ـ المومياء .
49 ـ أسطورة العشيرة .
50 ـ فى جانب النجوم .
51 ـ أسطورة الرقم المشئوم .
52 ـ أسطورة مملة .
53 ـ أسطورة النبوءة .
54 ـ أسطورة العراف .
55 ـ أسطورة (###099) .
56 ـ أسطورة ملك الذباب .
57 ـ أسطورة المقبرة .
58 ـ أسطورة أرض العطايا .
59 ـ أسطورة رونيل السوداء .
60 ـ أسطورة المتحف الأسود .
61 ـ أسطورة الشىء .
62 ـ أسطورة صندوق بندورا .
63 ـ أسطورة المحركين .
64 ـ أسطورتهم .
65 ـ أسطورة العلامات الدامية .
66 ـ أسطورة الرجال الذين لم يعودوا كذلك !
67 ـ أسطورة بيت الأشباح .
68 ـ أسطورة أرض الظلام .
69 ـ أسطورة نادى الغيلان .
70 ـ الحلقات المنسية .
71 ـ أسطورة الظلال .
72 ـ أسطورة الطوطم .
73 ـ أسطورة شبه مخيفة .
74 ـ أسطورة أغنية الموت .
75 ـ أسطورة الطفيـــل .
76 ـ أسطورة معرض الرعب .
77 ـ أسطورة الفتاة الزرقاء .
78 ـ أسطورة حامل الضياء جـ1.

روايات عالمية للجيب

■ صدر من هذه السلسلة ■

1 ـ فلاش جوردن .
2 ـ كنوز الملك سليمان .
3 ـ دكتور نو .
4 ـ حرب النجوم .
5 ـ الفك المفترس .
6 ـ فوق مستوى الشبهات .
7 ـ رحلة إلى مركز الأرض .
8 ـ الغيبوبة .
9 ـ الشيطانة .
10 ـ لقاءات من النوع الثالث .
11 ـ وجاء العنكبوت .
12 ـ قبضة الشيطان الذهبية .
13 ـ نداء الأعماق .
14 ـ القتل دون مقدم أتعاب .
15 ـ سلالة أندروميدا .
16 ـ الغرفة الحمراء .
17 ـ وادى العناكب .
18 ـ صورة دوريان جراى .
19 ـ العالم المفقود .
20 ـ صانع الأمطار .
21 ـ ألف ليلة وليلة الجديدة .
22 ـ سباق الموت .
23 ـ كونغو ..!
24 ـ كلب آل باسكرفيل .
25 ـ مدينة مثل أليس .
26 ـ الحزاز .
27 ـ مطار (77) .
28 ـ النطاق المسموم .
29 ـ الجزيرة .
30 ـ لا تنظرى الآن .
31 ـ جزيرة الدكتور مورو .
32 ـ عرين الدودة البيضاء .
33 ـ رحيق الملكات .
34 ـ وصية الثلاثين ألف دولار .
35 ـ العميل .
36 ـ ما وراء العالم .
37 ـ خلف جدار النوم .
38 ـ الغريم الخفى .
39 ـ قضية الذئب .
40 ـ الرجل الذى كان الخميس .
41 ـ الجزيرة الغامضة .
42 ـ 451 فهرنهيت .
43 ـ دورة المذءوب .
44 ـ حكايات أوسكار وايلد .
45 ـ قلب الليل .
46 ـ كتب الدم .
47 ـ أوديسا الفضاء .
48 ـ دكتور جيكل ومستر هايد .
49 ـ حكايات مارك توين .
50 ـ 1984 جـ 1 .
51 ـ 1984 جـ 2 .
52 ـ موبى ديك .
53 ـ غريب فى أرض غريبة جـ1 .
54 ـ غريب فى أرض غريبة جـ2 .
55 ـ حكايات أندرسن .
56 ـ المنتار .
57 ـ قصص من أزيموف .
58 ـ شرطى المكتبة .
59 ـ أسطورة سليبى هولو .
60 ـ كارميلا .
61 ـ محامى الشوارع .
62 ـ قاعة المرايا .
63 ـ جوهرة النجوم السبعة .
64 ـ مغامرات أرسين لوبين .
65 ـ أليس فى بلاد العجائب .
66 ـ قلعة الأسرار .
67 ـ عبودية الإنسان .
68 ـ نداء كثولو .
69 ـ لورد جيم .
70 ـ ماتيلدا .
71 ـ الرجل الذى يجمع كتب (بو) .
72ـ قطار الجحيم .
73ـ الرجل الخفى .
74ـ أفضل قصص الأشباح .
75ـ التنين الأحمر .
76 ـ الأفق المفقود

رقم الإيداع : 23770
977 - 378 - 246 - 8



ما وراء الطبيعة
روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والإثارة



د. أحمد خالد توفيق

أسطورة حامل الضياء

(الجزء الأول)

اليوم نجلس جلسة هادئة متحضرة مع الستر كراولى .. نشرب الشيكولاته الساخنة ونتحدث عن لوسيفر .. من هو ومن أين جاء ولماذا يلاحقنى ؟ .. سوف نعرف الكثير من الأسرار .. وسوف نعود بعقارب الساعة للوراء مرارًا .. لكن تذكر أنها ليست محاورة آمنة تمامًا ؛ لأن كراولى هو الساحر البريطانى الذى كانت الصحافة البريطانية تطلق عليه (الوحش) وقيل إنه (أشر كائن على وجه الأرض) ..عندما تعرف كذلك أنه ميت من سبعين عامًا تقريبًا ، فالأمر غير مريح على الإطلاق ..

العدد القادم

أسطورة حامل الضياء

(الجزء الثانى)





الثمن فى مصر 500
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم